شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٨٥) ١٥/١١/٢٠٠٩




السعودية: لا مبررات ولا أهداف وطنية أو أخلاقية لحربها الثانية على اليمن

نَصَبَتْ فخاً.. وخسرت حرباً!





د. مي اليماني: الإصلاحات مجمدة وبلغت درجة التعفّن


عبدالملك الحوثي يوضح دور السعودية في الحرب

وجوه حجازية

سيرة التكفير السعودي


وطن من دخان

كيف نفهم السعودية؟


سعودة الحجاز والحج!

الوهابية لا (الوطنية) تحشّد للحرب


السعودية ومستنقع الحرب

صفقة (سلام).. دورة فساد أخرى!

هـذا الـعـدد

دولة سعودائيل

مع أول طلعة جويّة للطائرات الحربية السعودية لقصف مواقع الحوثيين في اليمن، إنبعث مشهد العدوان الاسرائيلي على لبنان في صيف ٢٠٠٦، وكأن معدّي السيناريو في الحربين يمثّلون فريقاً استراتيجياً واحداً. ذات التكتيكات العسكرية، والبيانات، والأهداف، بل وحتى الخطاب الاعلامي كان متطابقاً إلى حد كبير بين الحادثين..

خلف الفيضان الإعلامي السعودي تكمن حقائق لافتة، فقرار آل سعود خوض الحرب ضد اليمن، لإنقاذ نظام صنعاء من السقوط، كان على خلفية ذريعة واهية: منع تسلل المقاتلين الحوثيين الى الأراضي السعودية، بما يشبه ذريعة الاسرائيليين في عدوانهم على لبنان في تموز ٢٠٠٦، أي وقف إطلاق الصواريخ من جنوب لبنان. وتبيّن من الوثائق التي حصلت عليها الجماعة الحوثية من الجنود السعوديين الذين وقعوا في أسر الحوثيين بأن قرار الحرب معدّ قبل ذلك بشهور، أنبأت عنه عمليات الإخلاء واسعة النطاق لعشرات القرى الحدودية، والتجهيزات العسكرية الضخمة على تخوم مناطق التوتر في الجنوب.

ليس التطابق بين المقاربتين السعودية والإسرائيلية مقتصراً على عدم تكافؤ القوة بين طرفي المواجهة فحسب، بل ثمة مشتركات أخرى أشد ظهوراً من بينها:

- **الغطرسة الخاوية**: وكما هو حال تصريحات القيادات السياسية والعسكرية الاسرائيلية بحسم الحرب ضد المقاومة اللبنانية في غضون ساعات، واستبدّت الغطرسة برئيس الأركان في الجيش الاسرائيلي دان حالوتس للقول بأنه سيعيد لبنان عشرين سنة الى الوراء، فيما تحدّثت تقارير أخرى عن اقتياد قيادات المقاومة الى معسكرات اعتقال أعدّت خصيصاً في شمال فلسطين المحتلة، ولكن مالبث أن تراجع منسوب التوقّعات العسكرية، وتبخّرت تدريجاً آمال القادة السياسيين والعسكريين الاسرائيليين.. ونسجت الغطرسة السعودية على ذات المنوال، فأطلق مصدر مسؤول سعودي (شبيه بندر بن سلطان) تصريحاً في اليوم الأول لحربها الجوية على شمال صعدة بأن (من المحتمل أن تشن القوات السعودية هجوماً أرضياً "لتطهير" معاقل الحوثيين في شمال اليمن بالتنسيق مع السلطات اليمنية). وكان التصريح بمثابة فضيحة، ليس كونه يكشف عن غطرسة خاوية فحسب، وإنما يكشف عن إعلان صريح باختراق السيادة اليمنية، وإقرار لا لبس فيه بالتدخل العسكري المباشر في حرب اليمن، علاوة على تجاوز الهدف المعلن للحرب: وقف المتسللين الى الأراضي السعودية.

لم تطل نشوة الغطرسة السعودية، فقد خفّفت القيادة العسكرية من (بنك الأهداف) المرسومة للحرب، واكتفت بمنع المتسللين، بعد أن واجهت القوات القادمة من الشمال مقاومة شرسة، ذهلت الجنود السعوديين ودفعت بهم للهرب من ميدان القتال غير المبرر، فيما ترك آخرون عرباتهم وأسلحتهم في أرض المعركة، ووقع عدد آخر في الأسر..

ما لفت الانتباه أيضاً، تصريح الجنرال خالد بن سلطان، مساعد وزير الدفاع، والمرشّح في حال فوزه في جولات الحرب أن يرث وزارة الدفاع من أبيه، بما نصّه (لن نوقف ضرب الحوثيين حتى تراجعهم عشرات الكيلومترات داخل الأراضي اليمنية). وبعيداً عن معرفة الأمير الجنرال بالجغرافيا اليمنية، حيث أن التراجع عشرات الكيلومترات يعني التهجير القسري من صعدة وعمران وماحولهما لعشرات الآلاف من البشر، نقول بعيداً عن تلك المعرفة الضئيلة، إلا أنها تذكّرنا بتصريحات الإسرائيليين بتراجع مقاتلي حزب الله الى مابعد نهر الليطاني. ولكن ما جرى في الميدان جاء خلاف رغبة ليس الاسرائيليين فحسب، بل وحتى المجتمع الدولي برمّته بقيادة الولايات المتحدة، لأن تراجع المقاومة اللبنانية يعني تهجير جماعي للسكان في جنوب لبنان، والحال ذاته ينطبق على الحوثيين في شمال اليمن. الحقيقة المجهولة لدى أولئك وهؤلاء أن المقاومة في اليمن، كما في لبنان، متجذّرة في مجتمعاتها، وليس تنظيماً عسكرياً معزولاً، فكل فرد في هذه المجتمعات مقاوم بالقوة.

- **الدعاية الخاوية**: رغم أن العدوان على لبنان في صيف ٢٠٠٦ كان بين طرف عربي وآخر إسرائيلي معتدي، إلا أن السعودية، ولسبب ما معروف، وجدت نفسها معنيّة بصورة مباشرة لتبرير العدوان الاسرائيلي على لبنان. ومن اللافت، أن الإعلام السعودي وحده كان مشغولاً ببعث رميم الطائفية لتظهير موقفه من المقاومة في لبنان، ممثلة في حزب الله، في غياب أسباب وجيهة لكل ذلك، اللهم إلا أن يكون الرأسمال المودع في (بنك الأهداف) الإسرائيلية بمساهمة مشتركة سعودية ـ اسرائيلية. واللافت أيضاً في الاعلام السعودي في حرب تموز، أنه جرى استحضار العنصر الإيراني بهدف خلط الأوراق، بغرض (التجهيل) بأهداف العدوان الاسرائيلي. وقالوا حينذاك بأن عناصر من الحرس الثوري الايراني تقاتل الى جانب حزب الله، وبلغ الجنوح الدعائي الى حد الإعلان عن وقوع عناصر قتالية إيرانية في الأسر من قبل القوات الاسرائيلية.

ولعب الإعلام السعودي الدور ذاته في حرب اليمن، فقد تم تحضير إيران على الفور ورُكّبت مشاهد الضلوع الإيراني في دعم الحوثيين، تمويلاً تارة، وتدريباً أخرى، وإدارة ثالثة، والحبل على الجرار..ومن فكاهة هذه الحرب، كأختها على لبنان، حين ينكسر الهدف الكبير تحمّل جهات خارجية السبب، على غرار زعم مشاركة أفراد من جنسيات غير يمنية مع الحوثيين في الحرب، وحين يقال غير يمنية، يعني شيعية إيرانية ولبنانية وربما خليجية، بعد أن تم استبعاد القاعدة (خصوصاً بعد بيانها الأمين طائفياً وسعودياً في ١٠ نوفمبر).

لم تحد السعودية عن الرؤية العسكرية الاسرائيلية لا في طريقة حسم المعارك (القصف الجوي التدميري الكثيف)، ولا في استدراج غطاء دولي للعدوان، ولا في حشد الضغوطات، ولا في الإعلام الحربي..ولا ريب أن النتيجة ستكون واحدة، مهما تفعل آلة الدمار الحربية، وطالما اختارت الرياض (عش الدبابير) لتجريب عتادها العسكري المكدّس فلتنتظر لسعاته المؤلمة.

سعودة الحجاز.. والحج أيضاً!

خالد شبكشي

نشرت جريدة (أم القرى) في العدد الثالث الصادر في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ/٢٦ ديسمبر ١٩٢٤: في رسالة عبد العزيز آل سعود رداً على برقية الشريف علي بن الحسين التي يعرض فيها الدخول في مفاوضات الصلح يقول فيها (إن شروطي الأخيرة هي أن لا صلح بيننا مادام أبناء أبيكم يتوارثون الملك في الحجاز. وأنتم تعلمون أن الحجاز إنما هو للعالم الاسلامي فلا مزية لطائفة من المسلمين فيه على طائفة أخرى. وإنما أخاطبك اليوم بلسان عامة المسلمين وما كنت أبداً لأخاطبك بإسمي وأنت تعلم أن لا شأن لي في الحجاز بل الشأن فيه هو للعالم الإسلامي. فينبغي لك أن تخاطب المسلمين وأن تستطلع آراءهم في القضية فإن أجابوك على ما تطلب لم أجد بداً من الصدوع، وإن أبوا إلا مخالفتك كان ذلك عليك).

أعاد التاريخ نفسه بعد ذلك، فاقترف عبد العزيز كل حذافير الإتهامات التي وجّهها الى الشريف علي بن الحسين، وصار الحجاز ملكاً يتوارث بين آل سعود، وأصبح الحجاز حكراً على الوهابية، ومنعوا كل من يتحدث بإسم عامة المسلمين، لأنهم وحدهم الممثل الشرعي الوحيد للإسلام والمسلمين!

شكاوى متعددة تصدر عن رئاسة وفود الحج من العراق وايران ومصر ولبنان وباكستان والهند وصولاً الى حملات الحج القادمة من قارات أوروبا والأميركيتين الشمالية والجنوبية، إزاء تصرّفات السلطات الدينية والسياسية في المملكة. وبدلاً من تثمير موسم الحج لتظهير معالم الوحدة والقوة في الأمة، أرادته الحكومة السعودية فرصة لتصفية الحسابات السياسية والمذهبية ضد كل من تختلف معهم، بذرائع مختلفة، تارة بحجة منع استغلال موسم الحج لأغراض سياسية، وأخرى للحيلولة دون ممارسة البدع والضلالات في بيت الله الحرام ومسجد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيما تخفي الأبعاد السياسية.

فالمحاجّة السعودية السابقة من أن الحجاز هو لعامة المسلمين قد تجاوزت ذلك الى حد احتكار شؤون الحج واعتبارها شأناً داخلياً، فلم تعد إدارة الحرمين الشريفين مقتصرة على البعد التنظيمي والإداري، بل جعلت من كل ما يتعلق بهما متطابقاً مع رؤيتها العقدية، وفرضت على المسلمين قاطبة الامتثال لمملياتها العقدية، رغم أن أتباع المذهب السلفي لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة من العالم الاسلامي.

ورغم النزوع الظاهري بعدم تسييس الحج، إلا أن الحكومة السعودية جعلت منه قضية سياسية خالصة، انعكس ذلك حتى على حصص الحجاج القادمين من الخارج، وطرق التعامل معهم، فتمنع من تشاء وتسمح لمن تشاء، على قاعدة الـ (مع) و(الضد). وللحكومة أن تقدّم ما تشاء من المبررات والذرائع لقراراتها السلبية والإيجابية، وكانت دائماً تتحدث بإسم المسلمين عامة، فقد عارضت توارث الشريف حسين الملك في الحجاز بإسم المسلمين عموماً، وعارضت احتكار طائفة من المسلمين لشؤون الحج أيضاً بإسم المسلمين عموماً، ولكنها تفعل اليوم ما أنكرته على الشريف علي بن الحسين، بل زادت عليه، فلم يقتصر سلطان آل سعود وتوارثهم على ملك الحجاز فحسب، وإنما أصبح الحج شعيرة دينية ولكن بشروط سعودية وهابية.

> **أراد آل سعود الحج فرصة لتصفية الحسابات السياسية والمذهبية ضد كل من يختلف معهم، بذرائع مختلفة، بحجة منع الأغراض السياسية للحج**

البيان السعودي الذي صدر في الثاني من نوفمبر حول ما أسماه محاولة (تسييس) الحج، ربطه بشأن عام، أي بأن التسييس (يهدد سلامة أكثر من مليوني مسلم..). ويصرف النظر عن رؤية الحكومة السعودية للسلامة ومصادر تهديدها، فمن الواضح أن السعودية تستجيب سياسياً لخلافها مع ايران، وتحاول تحشيد عناصر قوة غير ذاتية للتعبير عن خصومتها. وبإمكان المراقب للسياسة السعودية في مواسم الحج أن يرصد عشرات الأمثلة التي بدا فيها التسييس نافراً، لا يقتصر فيه الأمر على تقديم دعوات مدفوعة الثمن لوفود محددة من الخارج لأداء فريضة الحج، ولا اللقاءات العلنية والسرية التي يجريها الأمراء مع رؤوساء عدد من وفود الحج لأهداف سياسية، ولا قرارات المنع التي تطال قادة بعض الأحزاب السياسية والناشطين في دول غير حليفة أو صديقة للنظام السعودي.

وبعيداً عن ذلك كله، فإن فلسفة الحج تقتضي بأن يتداول المسلمون شؤونهم العامة، وخصوصاً في ظل ما تعانيه شعوب عربية وإسلامية بدءً بفلسطين ومروراً بالعراق وافغانستان ووصولاً الى باكستان، والتدخلات الاجنبية التي ما فتئت تراهن على انكسار شوكة الأمة لفرض الهيمنة عليها واستلاب خيراتها وثرواتها، وإحداث الإنقسامات الخطيرة في داخلها.

واذا كان من حجة للحكومة السعودية وخوفها على تعكير صفو الحج ومحاولة شق الصف الاسلامي، فمن الأجدر بها أن تكتم الأصوات والأقلام الطائفية التي تصدر عن إعلامييها ومشائخها، وقد بلغها الاحتجاج الواسع من العراق الى الشيشان، حتى باتت الوهابية مصدر توتير في كل مكان تدخله. وهل بلغ الإستهتار الى حد أن يكون كل من يخالف السعودية أو يسكت عن جرائمها مصدر تهديد للوحدة الاسلامية، فيما تطلق العنان لقطعانها في المشاعر المقدّسة بتوزيع هدايا (التكفير) على حجّاج بيت الله الحرام من كل أصقاع العالم، وجنّدت (الدعاة) و(الداعيات) لملاحقة حملات الحج القادمة من قارات الدنيا، بذريعة وجود مخالفات شرعية بين الحجّاج، وإبلاغهم رسالة (التوحيد الذي هو حق الله على العباد).

نعم، بات القاصي والداني يعلم ما تقوم به الحكومة السعودية من تحويل الحج الى شعيرة عبادية بلا مقاصد، فلا مكان لـ (ليشهدوا منافع لهم)، وهل ثمة أعظم منفعة من تدارس أحوال المسلمين، وتقديم العون لهم لمواجهة المحن والابتلاءات التي يواجهونها، وهل في غير هذا المقدّس يتجسد معنى الحديث النبوي (المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). أليس من المنطقي أن يتداول المسلمون محنة الشعب الفلسطيني، وخصوصاً شعب غزة الذي يعاني من الحصار الجائر، ويحرم حتى من المأوى بعد أن هدمت آلة الحرب الاسرائيلية المجنونة دور السكن، والمراكز الصحية، والمدارس، وأصبح هناك مليون ونصف مليون إنسان تحت الحصار، وعشرات الآلاف بلا سكن. أليس استخدام ذريعة (تسييس) الحج من قبل ايران تسييساً بحد ذاته؟

وإذا كان خلاف إيران مع السعودية هو ما دفع القيادات الايرانية الى الجهر بمواقف احتجاجية ضد تصرفات السلطات السعودية مع الحجاج الايرانيين، أو إذا كان خلاف العراق الرسمي مع السعودية يدفع بروؤساء حملات الحج العراقية للإعلان عن ضيقهم من صرامة الإجراءات وسوء المعاملة التي يتعرض لها الحجاج العراقيون، فإن شكاوى عديدة صدرت على مستوى الأفراد والجماعات من بلدان عربية وإسلامية منذ سنوات، سواء فيما يرتبط بسوء المعاملة والمضايقات التي تصل إلى حد الإخضاع للتفتيش الشخصي، ومصادرة المقتنيات الخاصة، وتحقير الحجاج والمعتمرين بكلمات نابية وهم يطوفون حول البيت العتيق، أو يزورون قبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

حين اتمّ عبد العزيز سعودة الحجاز عبر خديعة متقنة تم تنفيذها على مراحل، كانت هناك مهمة أخرى يضطلع بها الملوك والأمراء السعوديون، متمثّلة في (سعودة) الحج، أي تحويله الى شعيرة بمواصفات وشروط سعودية وهابية محضة، وهل (تسييس) الحج غير هذا، بالنظر الى ما كان يدّعيه عبد العزيز بأن الحجاز ليس خاصاً بطائفة بل هو لعموم المسلمين.

وبصرف النظر عن التصريحات الايرانية حيال سوء معاملة الحجاج من قبل السلطات السعودية، فإن من يراقب الحملة الاعلامية السعودية ضد إيران لا يساوره أدنى شك من أن ثمة ما يبرر مخاوف السلطات الايرانية من انعكاسات سلبية لتلك الحملة على معاملة الحجاج الايرانيين بل والحجاج الشيعة عموماً خلال موسم الحج. ولن تعدم السلطات السعودية مبررات افتعال الأزمة، التي ستكون (تعكير صفو الحج)، و(محاولة شق الصف الاسلامي)، والقيام بأعمال تخريب وشغب للمتلكات العامة، كما هي العادة في كل أزمات الحكومة السعودية مع خصومها.

بالنسبة للسعودية، هناك حاجة الى (خصم) يصرف الأنظار عن (اسرائيل) في مسعى لإنجاح مبادرة السلام التي حملها الملك عبد الله وأخذ على عاتقه إنجاحها، على خلفية قناعة راسخة لدى الإسرائيليين والغرب عموماً أن لا سلام حقيقي يمكن له أن ينجح ما لم يتم عبر السعودية. وكيما تنجح المبادرة السعودية لابد أن تتثبّت باعتبارها الدولة ـ الممثلة للعالم الاسلامي، ولأن إيران وحدها المنافسة للدور السعودي، فإن من الحتمي بالنسبة للرياض أن تشحن الفضاء الاعلامي بثقافة خصومة ضد ايران، والقيام بكل ما من شأنه تحويلها الى عدو للأمة، بدلاً من اسرائيل، التي باتت مرشّحة لأن تصبح عضواً في الجامعة العربية. من يقرأ توجّهات الاعلام السعودي منذ عامين على الأقل يدرك تماماً بأن السعودية تسعى بكل قوة أوتيته لترسيخ فكرة العداء ضد إيران، في مقابل استبعاد الخطر الاسرائيلي. بل أكثر من ذلك، فإن أهداف الاعلام السعودي وصل حد التقليل من شأن الهواجس من خطر اسرائيل، حتى بات البعض يستشرف صورة المستقبل القريب برفع العلم الاسرائيلي في الرياض.

يفعل آل سعود اليوم ما أنكروه على غيرهم وزادوا بتحويل الحج الى شعيرة دينية بشروط سعودية وهابية، وحرموا المسلمين من تداول همومهم

ليس هناك من يصدّق أن السعودية حريصة على عدم تسييس الحج، وما التصريحات المعلَنة بأنها تفتح ذراعيها بالترحيب والخدمات الكبيرة التي تقدمها للحجاج، ليس سوى مجرد دعاية فارغة. فالترحيب يكشف عن حقيقته الحجاج أنفسهم، أما الخدمات الكبيرة فيكشف عنها السباق الماراثوني بين الأمراء على سرقة الأموال العامة بإسم مشاريع التوسعة. آل سعود هم وحدهم من يستثمر الحج لأغراض سياسية، تتعلق بشرعنة حكمهم والتغطية على سياساتهم الموالية للغرب.

ولنقف هنا عند ما يمكن وصفه ببيت القصيد في موضوع الحج، ويتمثّل في بنود الاتفاقيات الاستراتيجية الاربع التي وقّعتها السعودية مع الولايات المتحدة في العام ٢٠٠٧، وتقضي إحداها إخضاع كل الأفراد الوافدين الى المملكة بمن فيهم الحجاج والمعتمرين الى إجراءات أمنية خاصة، ويتم تسليم المعلومات الى الحكومة الأميركية. وقد اعترض وزير الخارجية الايراني منوشهر متكي لدى السفير السعودي في طهران قبل عامين على قيام السلطات السعودية بأخذ بصمات من الحجاج الإيرانيين. لم يكشف السعوديون عن حقيقة هذا التدبير، واعتبروه إجراءً روتينياً يتوافق مع الأنظمة والقوانين السعودية، ولكن تطبيقه أول الأمر على الحجاج الإيرانيين يعتبر عملاً استفزازياً، خصوصاً وأنه إجراء غير مسبوق هذا أولاً، ولأنه يأتي في سياق تنفيذ استراتيجية التعاون بين واشنطن والرياض، ما تعتبره طهران عملاً عدائياً.

السعودية لا تريد حجّاً مسيّساً، لسبب بسيط، لأنها تريد ترسيخ قناعة لدى المسلمين بأن الحرمين الشريفين خاضعان تحت سيادتها الكاملة، وألا يصدر تصرف من أي جهة كانت يجرح هذه السيادة. ولا تريده حجّاً مسيّساً، لأنها تدرك تماماً بأن سياساتها في الغالبية تتعارض مع مصالح غالبية المسلمين، وإن السماح بفرص التعبير عن مواقف مخالفة من قضايا الامة يعني تلقائياً نقداً للسياسة السعودية. ولا تريده حجّاً مسيّساً، لأن السعودية غير قادرة على ضبط المشاعر الغاضبة التي قد تتفجّر حيال سياسات الغرب إزاء العالم الاسلامي وخصوصاً في فلسطين، والعراق، وافغانستان وباكستان.

مهما قيل عن رغبة العائلة المالكة بأن تحرز نصاب التمثيل السياسي والديني للمسلمين عموماً، فإنها تدرك في العمق بأنها فاقدة لمؤهلات التمثيل، دع عنك دور سياساتها في قلب الرغبة الى نقيضها، إذ لا يمكن لصدم مشاعر المسلمين بمواقف ممالئة للغرب ولإسرائيل أن تحقق النصاب، مهما بلغت قدرة الاعلام السعودي على تشويه الحقائق، فقد كثر أعداد الضحايا في العالم الاسلامي بفعل سياسات السعودية المتشدّدة والمتطرّفة وأحياناً المتواطئة، فلا معنى لأن تمنع التسييس في الحج، وهو المناسبة الوحيدة التي يهتم فيها المسلمون بصورة مباشرة بأمور بعضهم، فيما تمارس السياسة بأبشع صورها في كل منطقة يصل إليها ذراعها الديني المتشدّد، فهل تحريم السياسة مرتبط بالمكان والزمان أم بالأفعال والمقاصد؟

تنوّع اجتماعي، وتوحّد سلطوي

كيف نفهم السعودية؟

جوهر المعضلة السياسية هي أن الحكومة السعودية تبني سياساتها الداخلية والخارجية على أساس تحصين حكم الأقليّة المناطقي النجدي والمذهبي الوهابي

فريد أيهم

المقاربات التي اعتاد الباحثون والكتاب الدنو من خلالها الى الموضوع السعودي لم تفكّك ـ حتى اليوم ـ ألغاز بنية السلطة، وصناعة القرار، ودوافعه، والمؤثرات عليه، وكيف يفكّر المسؤولون من الأمراء ويقيسون الأمور والقضايا ويقيّمونها. لاتزال السعودية بلداً غامضاً حتى بالنسبة لمواطنيها، فضلاً عمّن يعيشون خارجها. إن أسباب الغموض الذي يلف السعودية، يعود بدرجة أساس الى عناصر محليّة، أكثر منها عناصر خارجية، ولذا فالمقاربات التحليلية المستخدمة عادة لم تقع حتى الآن على مفاتيح فهم القضايا السعودية المحليّة، وانعكاساتها على السياسة الخارجية.

مقاربات ناقصة

ثلاثة عناصر اعتمدتها المقاربات عامّة (العلاقة مع الغرب، النفط، والمركز الديني ودور المؤسسة الدينية) وهي عناصر تتكرّر في كل الكتابات والأبحاث تقريباً، ويمكن شرحها مختصراً وتبيان نواقصها على النحو التالي:

أولها، ويتصل بعلاقة النظام في السعودية مع القوى العظمى، بريطانيا أولاً، وأميركا تالياً. ويرتبط بهذه المقاربة عنصر (الحماية) التي توفرها تلك العلاقة للنظام السياسي السعودي، سواء جاء التهديد الواقعي أو المتخيّل من بعض الجيران (مصر والعراق سابقاً، وإيران حالياً). وتلقي هذه المقاربة ضوءً مكثّفاً على المشتركات السياسية الخارجية السعودية والسياسات الغربية عامّة، سواء تعلّق الأمر بالقضايا العربية أو غيرها على الصعيد الإقليمي والدولي، حيث الخط العام يتماشى مع الإستراتيجية الغربية ابتداءً من مكافحة الشيوعية وانتهاءً بمكافحة الإرهاب، والصراع مع إيران. لكن هذه المقاربة، لا تجيب على أسئلة تتعلق بالوضع المحلّي بالذات، كما لا تقدّم توضيحات حول نوازع السياسة الخارجية السعودية وارتباطها المباشر بتركيبة السلطة والمجتمع المحليين كما بالسياسة الداخلية السعودية نفسها. غنيّ عن القول أن السياسة الخارجية السعودية، في كثير من تجليّاتها، انعكاس لبنية السلطة والسياسة الداخلية والأوضاع المحليّة.

ثانياً، ويتعلّق بموضوع النفط، والذي له ارتباط بالتحديث عامّة، وبالقدرة السعودية على دعم سياساتها الخارجية عبر التسهيلات المالية، كما يرتبط به جملة من المواضيع مثل: العمالة الأجنبية، وتمويل الحروب، وصفقات الأسلحة ورشواتها، وإعادة تدوير البترودولار، وغيرها. لكن هذه المقاربة ـ وهي إذ ترسم صورة خارجية عن البلد الغني القادر على تفعيل دوره الخارجي وخياراته السياسية عبر البذل المالي، كما ترسم صورة المجتمع الثري والمخملي الذي يعيش على بحيرات النفط ـ لا تجيب عن أسئلة محددة لها علاقة بالقرارات الإستراتيجية المتخذة في هذا الشأن النفطي والمالي والإقتصادي، كما لا تربط موضوع النفط بالوضع المحلي بصورة قويّة، ولا تبيّن مثلاً: لماذا يوجد جياع في السعودية، وأن يكون ربع الشعب ـ حسب الإحصاءات الرسمية ـ يعيش تحت خط الفقر، وأن ٧٠٪ من السكان لا يمتلكون بيوتاً، وأن ٧٠٪ من المدارس هي عبارة عن بيوت مستأجرة، ولماذا ما يقرب من ربع القوى العاملة السعودية عاطلة عن العمل، الخ. المقاربة هذه، قد تكون واحدة من أسباب التعمية والغموض الذي يلف السعودية، كونها تعطي صورة غير صحيحة عن الوضع المحلّي الذي يفاجيء المراقبين بالسخط والعنف أحياناً، وبالهجرة الى دول الجوار بحثاً عن العمل (الإمارات وقطر والكويت).

ثالثاً، ويتعلق بالعنصر الديني، كون المملكة تحتضن المقدسات الإسلامية، وتتبنّى دعوة تراها تطهرية توحيدية، هي (أصفى العقائد) كما قال الملك عبدالعزيز ذات مرّة لمسؤول بريطاني. والمقاربة هذه تفترض أن السعودية ملزمة باتخاذ سياسات محافظة ودينية على الصعيد الإجتماعي، كما أنها ملزمة باتخاذ سياسات خارجية محددة لها علاقة بموقعها الديني (كدعم الأقليات الإسلامية، ودعم القضايا الإسلامية) والتي كانت والى وقت قريب عنصراً طاغياً في السياسة الخارجية السعودية قبل ان تتحلل من الكثير منها منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي. يرتبط بهذه المقاربة موضوع مصاهرة آل سعود للوهابية، ودور المؤسسة الدينية في الجهاز الحكومي، وشرعنتها الجزئية للنظام السياسي، والأهم ضغوطها على الوضع الإجتماعي السعودي بما فيه كل القضايا المتعلقة بالمرأة، وكل المسائل المتعلقة بالإكراه الإجتماعي كما بالترفيه العام (وجود مسارح وسينماءات وغيرها).

ومع أن هذه المقاربة تتواصل مع الموضوع الإجتماعي المحلّي، بالإضافة الى موضوع السياسة الخارجية السعودية، إلا أنها قاصرة عن الإجابة على الأسئلة المتعلقة بصناعة القرار السياسي والمواقف السعودية السياسية. مثلاً: السؤال المتعلق بشرعية النظام دينياً وحجمها، ولماذا تتماشى تلك الشرعية جنباً الى جنب مع التحالف السعودي الأميركي/

الغربي. ومثله ما يتعلق بالمؤسسة الدينية وعلاقتها بالنظام السياسي، فهل هي مؤسسة مستقلّة، أم أداة بيد النظام؟ هل هي أقوى من النظام في فرض أجندتها أم العكس؟ لماذا يتجاوزها النظام في قضايا محددة (التحالف مع الغرب عامة، البنوك الربوية، الإختلاط كما في جامعة الملك عبدالله، القضاء غير الشرعي، القنوات الفضائية والإعلام السعودي الماجن) ويسكت عنها في قضايا أخرى، خاصة تلك التي تتعلق بقهر الجمهور، كما في ممارسات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفتاوى الطائفية ضد أكثرية السكان شرقاً وغرباً وجنوباً؟

المقاربة الدينية للموضوع السعودي تبقى ناقصة إن لم تعتمد تحليلاً لبنية المجتمع في الأساس وانقساماته المناطقية والطائفية والسياسية. ولذا استساغ البعض التعمية على الموضوع الديني، بنسبة كل الشرّ الى المؤسسة الدينية، وتبرئة النظام الذي يمنحها القوة. وهي مقاربة ناقصة من جهة أن متبنيات النظام السياسية ودوافعها لا تفهم جيداً إن لم تعتمد مقاربة أو عدّة مقاربات أخرى من أجل فك طلاسم الغموض في الحراك السعودي الرسمي محلياً وخارجياً.

محاولة تأسيس أولي للفهم

مفتاحان أساسيان لفهم مجمل القضايا التي تحدث في السعودية، وهما يجيبان على أكثر الأسئلة إلحاحاً وغموضاً والمتعلقة بـ (الدولة، العائلة المالكة، المجتمع السعودي). هذان المفتاحان يمكن تكثيفهما على النحو التالي:

المفتاح الأول ـ وله علاقة بتوصيف الدولة السعودية ونشأتها، والقضايا المتفجرة في بنيتها منذ تأسيسها.

يمكن القول بأن الدولة السعودية ليست دولة قبلية tribal state، أو دولة بدوية كما وصفها البعض، بالرغم من حقيقة أن العنصر القبلي (المديّن) كان واحداً من عناصر تأسيسها. في الحقيقة فإن الدولة قامت ـ والى حد بعيد ـ على أنقاض القبيلة. أيضاً لا يمكن القول بأن المجتمع السعودي هو مجتمع قبلي، فأكثريته حضرية، كما لا يمكن القول بأن الحكومة السعودية قبليّة أو تحتكم لقيم القبيلة ومعاييرها، والعائلة المالكة تعدّ نفسها ـ حسب فيلبي ـ فوق الإنتماء القبلي، لأن المناظرة القبلية لا تخدمها ولا تشرعن حكمها.

ايضاً فإن الدولة السعودية ليست دولة عائلية بالمعنى الحرفي للكلمة (familial state)، وإن اتخذت الحكومة صفة عائلية، فهذا أحد سماتها، أو الغالب في سماتها.

كذلك فالدولة السعودية ليست دولة ثيوقراطية theocratic state لأن أهم سمات الدولة الثيوقراطية هي سيطرة رجال الدين على الحكم، وهذا غير متوافر حالياً مع ان مشايخ الوهابية لهم صولة ومكانة فيها. ولا هي دولة متأثرة في سياساتها بقيم الأكثرية الدينية (وهي بالمناسبة غير وهابية) مع الإعتراف مسبقاً بأن الدولة قامت على أسس عصبية دينية وهابية أقلوية. بل يمكن القول بأن السعودية ـ وحسب المواصفات الوهابية نفسها ـ ليست دولة إسلامية بمعنى أن المرجعية فيها للإسلام، وإن بنسخته الوهابية، وأن حكامها ملتزمون في مسلكهم الشخصي أو في سياساتهم الداخلية والخارجية بما يمكن تبريره إسلامياً، ولذا تجد الكثيرين ممن اعترضوا على الحكم في العقود الأخيرة الى حد استخدام العنف، حاكموا النظام على أساس ما يزعم أنها معتقداته، وبالتالي سوّغوا الخروج عليه بالسلاح.

لقد أطلقت على الدولة السعودية صفات مختلفة، كدولة ريعية أو أبوية أو صحراوية أو غيرها، ولكن تلك الأوصاف وإن صدقت في جانب، فإنها لم تلامس جوهر الدولة وروحها وأيضاً عقدتها ومشكلتها.

يمكن الزعم بأن السعودية ـ التي هي دولة قومية/ قطرية بالإسم فحسب ـ هي (دولة إمبراطورية An Empire-State) وكل المشاكل والعيوب الجوهرية التي تعترضها، وكذلك معظم السياسات المتخذة ناتجة في الأساس عن عيوب في البنية الإمبراطورية نفسها. لماذا نسم الدولة السعودية بأنها دولة إمبراطورية، وتلاحقها التحديات التي واجهت الإمبراطوريات في التاريخ؟

(١) أنها دولة قامت على الحروب والتوسع، كما كل الإمبراطوريات تبدأ بمنطقة صغيرة ثم تتوسع، مستخدمة إما القومية، وفي الغالب المسوّغ الديني لتبرير التوسع وفي بعض الأحيان (المصاهرة والتوارث). من نجد انطلقت الحملات العسكرية فاحتلت المناطق المستقلة أو شبه المستقلة (الأحساء والقطيف عام ١٩١٣، الحجاز ١٩٢٤-١٩٢٦، الجنوب ١٩٢١، حائل ١٩٢٢). هذا يفسر لماذا أصبح مذهب الأقلية الوهابية حاكماً، وهو ما يفسر في جزء كبير دور رجال الدين الوهابيين في الدولة التي ساهموا في صنعها، وأيضاً هذا ما يفسر حكم أقليّة على مقدرات الدولة، لأن نجد هي التي قامت بالتوسع، وبالتالي أصبح الحكم (غنيمة للمنتصر). وهذا ما يفسر التقسيم في المواطنة ودرجاتها واستحقاقاتها في الدولة. وهذا أيضاً ما يفسر اختفاء التنوّع الثقافي والمذهبي في المملكة، وسيادة أحادية ثقافية ومذهبية مفروضة من المركز، كما يفسر لماذا يكون وجه الدولة السعودية في الخارج (وهابياً نجدياً)؟

هذا ولاتزال روح التوسّع قائمة، وهو ما يفسر تحويل التوسع عبر السلاح في الداخل او لدول الجوار، الى التوسع عبر نشر (الدعوة) في الخارج، وهذا ما يجيب على تساؤل: لماذا يساهم السعوديون (الوهابيون منهم) في معارك الخارج وبنشاط، من أفغانستان الى الصومال الى البوسنة الى الشيشان الى العراق الى مجاهيل أفريقيا. هناك روح حركية لم تخمد بعد، ولم تكن الوسائل الحكومية جادة في خضدها، لأن ذلك يعني إبقاء المشكلة في الداخل بدل تصديرها للخارج.

(٢) دور الدين في الدولة محوري، كما في معظم الإمبراطوريات، وأقربها مثالاً العثمانية والى حد ما الإمبراطورية الهنغارية النمساوية والتي اتخذت من الدفاع عن الكاثوليكية واحداً من أهم أهدافها. من الصعب الفصل بين الطموحات السياسية والتوسعات الدينية. فأيديولوجية الدولة السعودية تتخفى وراءها المطامح السياسية، وكما الدين/ الوهابية صار مطية للدولة للإستخدام الداخلي (تبرير التوسع، وفرض الثقافة الواحدية، وشرعنة الدولة وسياسات حاكميها) كذلك فإن الدولة صارت مركباً للمذهب من جهة تسويده محلياً بقوة الدولة ونشره بإمكانياتها في الخارج. لذا صار من غير الممكن اليوم مجرد التفكير في تخلّي الحكومة السعودية عن الوهابية كأيديولوجية وكأتباع جاهزين للإستخدام. إن ذلك يقضي على الطرفين. ومهما اتسع الخلاف، أو اقتحمت الدولة فضاء الدين وضيقت عليه أو العكس، فإن الخلافات تبقى تحت سقف المصلحة الخاصة الناتجة من التحالف بين الطرفين. ويمكن استخدام مقياس العلاقة بينهما كأحد المؤشرات حول ما إذا كانت الدولة تميل الى الإنحلال من عدمه. يبقى ان نشير هنا، بأن فرض المذهب الوهابي محلياً، استتبعه تدمير الهويات الدينية في المناطق الأخرى، الى حد يمكن القول معه اليوم أنه تم بشكل شبه كامل تدمير الوجود الديني الحجازي، القائم على التعدد المذهبي، وغاب كل رجال الدين الحجازيون بالموت، ولم يبق سوى بضعة نفر فحسب، مهمشين من الناحية الدينية.

(٣) وجود عائلة مالكة، فالإمبراطوريات تحكم في الغالب عبر عوائل مالكة وراثية. لكن العائلة المالكة السعودية تختلف عن كثير من غيرها من العوائل المالكة القائمة حالياً أو الماضية في ثلاثة مواضع:

الأول، أنها عائلة لا تستطيع أن تتسامى فوق الأديان والثقافات المتعددة والتحدرات القبلية أو المناطقية للسكان. أي أنها لا تستطيع أن تلعب دوراً أبوياً للمجتمع، ولا أن تمثل حالة رمزية فيه لكل الأطياف. إنها عائلة تنتمي الى منطقة محددة، وتأتي من خلفية إجتماعية ومذهبية محددة مرتبطة بتلك المنطقة (الدعوة النجدية كما تسمى)، وهي فوق هذا منافح ومدافع عن مصالح تلك المنطقة وخياراتها الثقافية وتقول ذلك علناً (أخذناها بالسيف، ودولتنا سلفية وستبقى). الولاء للدولة، ولصانعها (العائلة المالكة والمؤسسة

الدينية الوهابية والنخبة النجدية) ليس موجوداً إلا كأفراد خارج حدود نجد. لا غرو إذن أن تكون الدولة وفي كل مؤسساتها تدار من قبل نجديين، وحسب تعبير د. غسان سلامة فإن كل فرد في السعودية يدرك بأن الدولة السعودية في جوهرها (نجدية). وبسبب الشك في الولاء، جاءت سياسة التهميش والتمييز ضد أكثرية المواطنين، معززاً بمنطق الغلبة والإستفراد بالحكم، ولذا فإن النزعات الإنفصالية عن جسد الدولة ـ والتي ظهرت مؤخراً ـ لم تكن سوى محصلة من ردود الأفعال على السياسات القائمة.

اما الموضوع الثاني الذي تختلف فيه العائلة المالكة عن غيرها، فيتعلق بحجم العائلة (عدد أفرادها). إنه رقم غير مسبوق تاريخياً، ويقدر بين خمسة آلاف شخص الى ثلاثين ألف شخص. هذا الرقم الضخم سبب مشاكل فيما يتعلق بالخلافة والحكم والملك، كما سبب مشاكل بين العصب داخل العائلة المالكة من جهة التنافس للوصول الى المناصب والحصول على المخصصات المالية والأراضي. وقد سبب العدد بشكل خاص ضغطاً كبيراً على المواطنين وليس فقط على ميزانية الدولة وإمكاناتها والمناصب العليا فيها. للمرء أن يتخيل حجم التجاوزات التي يحدثها هذا العدد، وليتصور مقدار الجهد في ضبط تصرفات أمراء العائلة المالكة ضمن القانون.

المفارقة الثالثة تتعلق بأن العائلة المالكة هي العائلة الوحيدة التي تنسب شعبها اليها، وتسمي الدولة باسمها، في إشارة الى ان العائلة المالكة وبقاء الدولة لا ينفكان. وتفتح التسمية ذاتها أزمة الهوية الوطنية في دولة امبراطورية يراد منها التحوّل الى دولة قطرية/ قومية. حتى الآن هناك فشل ذريع في بناء هوية وطنية سعودية، وكما كانت القوميّة (حفّار قبور) الإمبراطوريات الغابرة، فإن الإنتماءات الفطرية المناطقية والمذهبية والقبلية تقوم بذات العمل، وتتغلّب من حيث القوة على الهوية الوطنية نفسها. من الصعب استزراع هوية وطنيّة في دولة هكذا مواصفاتها: مناطق متعددة الثقافة والتاريخ السياسي والهوية، أجبرت أن تكون جزءً من دولة موحدة، مع بقاء السيادة والثقافة والمنفعة للفئوية الجامحة. هذه أرض لا يمكن استزراع ثقافة وطنية فيها، إلا بتغيير كبير في بنيتها.

مجتمع الأقليات السعودي

المفتاح الثاني ـ نحن بحاجة الى إعادة قراءة المجتمع السعودي كيما نفهم السلطة وسياساتها. التوسع النجدي صنع دولة، وأدخل أكثرية سكانية متعددة المناطق والهويات والثقافات والمذاهب والمناخ والمناشط الإقتصادية فيها. الفواصل الجغرافية بين تلك المناطق كبيرة: مساحات هائلة من الصحارى بمئات الكيلومترات، وجبال تشكل حدوداً طبيعية للمناطق كما في الغرب والجنوب. ورغم وجود حكومة واحدة، إلا ان المجتمعات القاطنة في تلك المناطق أقرب ما تكون الى مجتمعات مترابطة برأس سياسي مركزي، وليست حتى متجاورة فضلاً عن أن تكون مجتمعات متلاحمة أو منسجة. والعلاقة بين تلك المناطق وسكانها لاتزال نمطيّة، وغير ودّية في الجملة.

يمكن توصيف المجتمع السعودي بأنه مجتمع (أقليّات)، كل أقلية لها مذهبها ومنطقتها الجغرافية المحددة، وعاداتها وتقاليدها وإرثها السياسي وحتى قبائلها المختلفة عن الأخرى، فضلاً عن مناخها وحياتها الإقتصادية وطوبوغرافيتها، ما جعلها مؤهلة حتى قبل قيام الدولة السعودية أن تُعدّ ككيانات سياسية شبه مستقلة. كل سكان تلك المناطق نجحوا قبل قيام الدولة السعودية في بناء هويتهم الخاصة بهم، المستندة في الأغلب الى عنصري: الأرض، والثقافة التي تشمل المذهب وتوابعهما (الوهابية في نجد، والتشيع في الشرق مع المذاهب السنية الأخرى غير الوهابية، وفي الجنوب النجراني هناك الإسماعيلية، فضلاً عن الطرق الصوفية في جازان وغيرها، ومثل ذلك في الحجاز حيث المذاهب الأربعة خاصة المذهب الشافعي الذي ترجع اليه الأغلبية، اضافة الى وجود النزعة الصوفية القوية التي لاتزال باقية حتى اليوم رغم محاربتها).

أيضاً فإن كل منطقة لا تمثل عددياً إلا أقلية: فحسب الإحصاءات الحكومية لعام ٢٠٠٤ (وأغلب الباحثين يشككون فيما تقدمه الحكومة من إحصاءات) فإن أياً من المناطق لم تحز على ثلث السكان البالغ يومها نحو ١٦،٥ مليون نسمة. فنجد تمثل ٣٠٪ من السكان، والحجاز نحو ٣٢٪، والشرقية نحو ١٥،٥٪، والمناطق الجنوبية (عسير ونجران وجازان) نحو ١٨،٨٪، ومنطقة الحدود الشمالية نحو ٣،٣٪. نفس الفوارق تجدها في حجم المناطق الجغرافي رغم التلاعبات الرسمية في الأرقام (بالقطع واللصق). الشرقية مساحتها تمثل نحو ٣١،٢٨٪ من مجمل مساحة السعودية التي تصل نحو ٢،٢٥ مليون كيلومتر مربعاً. ونجد التي أضيفت لها مساحات من الجنوب ومن الربع الخالي تمثل ٣٦،٢٪ من مجمل مساحة البلاد، والحجاز ٢٠،٩٩٪، والجنوب نحو ١١،٥٣٪.

وهنا نأتي الى جوهر المعضلة السياسية في السعودية، وهي أنها تأخذ بعين الإعتبار في سياساتها الداخلية والخارجية مسألة حيوية وهي: تحصين حكم الأقلية المناطقي والمذهبي الذي يقف وراءه آل سعود (أكثر من ٩٥٪ من الوظائف العليا من المرتبة الرابعة عشرة الى أعلى بما يشمل كل المواقع العسكرية والمالية والدينية والتعليمية العليا وغيرها محتكرة بيد تلك الأقليّة).

بديهي أن هذا سيؤدي الى مشاكل داخلية بين المناطق وأتباع المذاهب. وبديهي أن يتم تبرير الإقصاء على أسس دينية أو عرقية (طرش بحر، كما يوصف الحجازيون، أو قرود على حيود كما يوصف الجنوبيون، أو فرس مجوس كما يوصف الشيعة).

كل الموضوعات الكبرى التي تناقش في السعودية اليوم لها صلة بهذا الأمر.

لماذا لا توجد هوية وطنية وثقافة وطنية؟ لأن الروح الوطنية تعمل نقيض الإستئثار والتمييز، ولا أحد من النخبة الحاكمة يرغب في التخلي عما بيده لصالح فئات يراها دونية أو غير موالية للنظام، حتى وإن شكلت الأكثرية.

لماذا ترفض العائلة المالكة، والنخبة الحاكمة المناطقية، ورجال المؤسسة الدينية (كل من زاويته) المشاركة السياسية الشعبية في صناعة القرار عبر الإنتخابات؟ إنه لذات السبب: إن المشاركة ستفرز تحصيصاً للسلطة (الغنيمة).

وعلى ذات النسق، يمكننا أن نسأل: لماذا لا تقف المؤسسة الدينية ضد العائلة المالكة التي تخرق المحرمات الدينية من وجهة نظرها؟ لماذا ترى القذى في عين العدو، ولا ترى الجذع الضخم في عين العائلة المالكة؟! ولماذا تظهر الدعوات الإنفصالية، والعودة الى تراث الماضي بشكل غير مسبوق؟ ولماذا يجري التسامح الى حد كبير مع المعارضة التي تشترك مع العائلة في خلفيتها المناطقية او المذهبية، في حين يشدد على الآخرين ويقمعون؟ لماذا تغلق مساجد الإسماعيلية والشيعة في أماكن تواجدهم؟ لماذا تستطيع القاعدة اختراق الأجهزة الأمنية والعسكرية ولا يستطيع آخرون فعل ذات الأمر؟ أليس لأن نسيجها الإجتماعي متشابه في حين (الآخر المناطقي او المذهبي) مستبعد منها؟ ولماذا تنفجر الروح الطائفية في مناهج التعليم والإعلام وغيرها؟ ولماذا تضيّق حرية العبادة والتعبير الديني؟ أليس منعاً لثقافة منافسة من الحضور؟ ولماذا القضاء واحدي التوجه، وكل أفراده يتبعون مذهباً أقلوياً؟ ولماذا رغم تديين المجتمع بكافة الوسائل، فإن الشعب السعودي مجملاً لا يعتبر مجتمعاً متديّناً، بل يميل الى المناكفة والتحلل؟ ولماذا تصر العائلة المالكة على شرعية وهابية منقوصة ينتمي اليها أقلية، ولا تطلب شرعية دينية أو سياسية أوسع يمثلها أكثر السكان؟

يقول الموالون دفاعاً عن العائلة المالكة، بأن السعودية تمثل حالة خاصة.

بهذا المعنى الذي تحدثنا عنه، هي كذلك فعلاً!

أسرى سعوديون، ومئات الجرحى، وآلاف النازحين من القرى السعودية

السعودية تدخل (عش الدبابير) اليمني وتخسر المعركة

محمد السباعي

التحوّل سريع في مجريات الحرب اليمنية بعد دخول الجيش السعودي المعارك وقصفه بطائرات التورنادو والإف ١٥ المواقع الحوثية، وتغلغل القوات البرية السعودية مدعومة بالدبابات والمدافع الثقيلة الى كيلومترات عديدة في العمق اليمني. وقد فاجأ هذا التدخل السعودية والحماسة البالغة للإنخراط في الحرب المراقبين، وأخذهم على حين غرّة. فمن مجرد اشتباك محدود على الحدود قتل فيه جندي سعودي واحد، على هامش المواجهة بين القوات اليمنية والحوثيين عند جبل دخان، أصبحت المواجهة مفتوحة تتخذ أبعاداً طائفية وسياسية إقليمية، تُستدعى فيها نزعات شوفينية باسم الوطنية والدفاع عن الأرض، مثلما تستدعى فيها شعارات عروبية وأيديولوجيات دينية، تتخذ شعار (هبّت هبوب الجنّة، وينك يا باغيها ـ أي أينك يا طالبها) وهو شعار كان حصراً على حركة الإخوان (الجيش السعودي) حين كان يستخدم في معارك التوسعات قبل قيام مملكة آل سعود.

بداية التحول

مع أن السعودية ـ وكما أكدنا في أعداد سابقة من الحجاز ـ هي التي أشعلت الحرب السادسة، والحروب التي سبقتها، وهي التي تمولها، وهي التي تسلح الجيش اليمني أو تدفع فواتير تسلحه ورواتب ضباطه ورجال أمنه، وهي التي تحثّ القبائل الموالية على الحدود للإنخراط فيها الى جانب الجيش اليمني، وهي التي دعت حلفاءها الوهابيين في اليمن لتعزيز الهجوم الذي تقوم به القوات البرية..

ومع أن السعودية، أكدت مراراً دعمها للحكومة اليمنية، واستثنت من ذلك ـ حسب نائب وزير الداخلية السعودي الأمير أحمد بن عبدالعزيز ـ مساهمة الطيران السعودي في الحرب، وهو ما كان يؤكد عليه الحوثيون من أن الطائرات السعودية سبق وأن أغارت على مناطق يمنية.

ومع أن السعودية هي التي دفعت بخيار الحرب، وطلبت من حكومة اليمن التملص من (اتفاق الدوحة) الذي عقد العام الماضي بوساطة من الأخيرة، وعوضت الحكومة اليمنية عن ذلك بنحو مليار ونصف المليار دولار إضافية.

ومع أن السعودية جندت منذ اللحظات الأولى إعلامها في خدمة الحرب وعلي عبدالله صالح.. فإن الدخول الى قلب المعركة، جاء بتخطيط مسبق، حسب ما كشفت عنه وثائق حصل عليها الحوثيون من الجنود السعوديين المأسورين.

لم يكن افتعال المعركة لمجرد مقتل عنصر من حرس الحدود السعودي، والتهويل من حجم الخطر، ورفع شعار (الدفاع عن أرض المقدسات) بل لم يكن إعلان السعوديين الكاذب من احتلال الحوثيين لمجموعة غير قليلة من القرى السعودية، إلا تمهيداً لذلك التدخل المباشر.

المسألة بدأت بجبل الدخان المحاذي لصعدة والذي يطلّ من جهة على قرى سعودية ومن جانبه الآخر على مواقع حوثية. مساهمة في الجهد السعودي للجيش اليمني، سلمت الحكومة السعودية الجبل لقوات يمنية في حدود منتصف شوال الماضي لتطوق القوات الحوثية من الشمال كما من مواقع أخرى، الأمر الذي دفع الحوثيين لاحتلاله يومها، وجرى التفاوض مع السعوديين من أجل إعادة الموقع اليهم (شرط عدم تسليمه للقوات اليمنية) وشرط ان تمتنع السعودية عن التدخل في الحرب الدائرة بصيغة مباشرة. قبل السعوديون ذلك، كما تحكي أشرطة الفيديو على اليوتيوب والتي صورت المفاوض السعودي الذي قال بأن (لا دخل لنا في الحرب)!

أعيد جبل الدخان للسعوديين، ولكن الأخيرين أعادوا تسليمه للقوات اليمنية مرة أخرى يوم السبت الموافق ٣١/١٠/٢٠٠٩م، حسبما قال بيان للجيش اليمني ونشرته في اليوم التالي الأحد ١/١١/٢٠٠٩ صحيفتا ٢٢ مايو و٢٦ سبتمبر الرسميتين. وحسب الصحيفة الأخيرة كان الخبر الرئيس وتحت



قصف بالمدفعية الثقيلة

عنوان: (الجيش يسيطر على جبل الدخان والتباب المجاورة له ووادي الموقد وليه ويستولي على كميات كبيرة من أسلحة الإرهابيين).. وجاء في الخبر: (علمت ٢٦ سبتمبرنت إن أبطال قواتنا المسلحة والأمن سيطروا على جبل الدخان والتباب المجاورة له ومناطق أعلى وادي الموقد شمال غرب

قرية المركاب الواقعة غرب جبل حرم والمواقع المشرفة على الوادي وتدمير أوكار الإرهابيين شرق المنزالة والتباب المطلة على وادي ليه وطرد العناصر الإرهابية منها والاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وقذائف الهاونات وار بي جي وألغام فردية ومضادة للدبابات وعدد من السيارات بالإضافة إلى بعض الوثائق والأشرطة وبطاقات شخصية).

صحيفة ٢٢ مايو كان عنوان خبرها يوم ٢٠٠٩/١١/١: (الجيش يسيطر على جبل الدخان ووادیي الموقد وليه وضبط ٣٩ متمرداً)، وجاءت بالخبر منسوباً لمصدر عسكري يمني حيث جاء: (قال مصدر عسكري إن أبطال القوات المسلحة والأمن سيطروا على جبل الدخان والتباب المجاورة له ومناطق أعلى وادي الموقد شمال غرب قرية المركاب الواقعة غرب جبل حرم والمواقع المشرفة على الوادي).

جبل الدخان إن كان سعودياً، فلماذا سمحت السعودية للجيش اليمني باستخدامه؟ وإن كان يمنياً لماذا اعتبرت تطهير الحوثيين له من القوات الحكومية بعد يومين، احتلالا لأراضيها؟!

الذي حدث هو أن الحوثيين أجلوا بالقوة القوات الحكومية، وقتلوا عدداً من أفراد الجيش، وجاء على هامش المواجهة اشتباك مع حرس الحدود السعودي، قال البيان الرسمي السعودي، أنه أدى الى مقتل واحد من عناصر حرس الحدود وجرح ١١، مع أن الأنباء تفيد بمقتل سبعة عناصر سعودية.

إهانة وطنيّة

هنا ثارت الثائرة السعودية، وصار الحديث عن اغتصاب أرض الوطن، وعلى الفور بدأت الطائرات السعودية بدك المواقع الحوثية في جبل الدخان وفي الملاحيط وغيرها ولم يهدأ قصف طائراتها وقصفها المدفعي حتى كتابة هذه السطور. ورغم أن الحكومة السعودية قالت انها استردت جبل الدخان، إلا أن الحوثيين نفوا ذلك، وأكدوا انهم سيعيدونه الى السعودية في حال تعهدت الأخيرة بعدم تسليمه مرّة ثالثة الى الجيش اليمني للإلتفاف عليهم.

الحكومة السعودية تعودت أن تقاتل بجنود الآخرين، كما اعتادت تمويل تمويل الحروب نيابة عنها، ولكنها هذه المرة اقتحمت الحرب بنفسها، بعد أن تأكدت من عجز الجيش اليمني في إنهاء المعارك، واعتبار الدعاية العسكرية اليمنية التي تتحدث عن انتصارات أمراً غير كاف لوقف التهديد الذي تعتقد أنه كبير لنفوذها السياسي الضارب في اليمن. وتشعر السعودية بأنها تواجه تحدياً حقيقياً إن خسر علي عبدالله صالح الحرب، فرأت أن تتدخل مباشرة، وهو أمرٌ حذر منه عبدالملك الحوثي ونصح السعودية بعدم الإقدام عليه، وعدم فتح أراضيها لقتالهم، ولكنها رأت غير ذلك، الأمر الذي ترجم بالسيطرة الحوثية على جبل دخان، وهو أقرب نقطة عسكرية هامة على الحدود اليمنية السعودية.

السعوديون أرادوا من موضوع جبل الدخان الدخول مباشرة في الحرب. يحدوهم في ذلك وهمٌ بأنهم قادرون على ما عجز عنه الجيش اليمني. السعودية وجدت أن الجيش اليمني المدعوم كاملاً من السعودية لم ينجح حتى الان، وربما كان هذا هو السبب في دخول السعودية على خط المواجهة العسكرية المباشرة.

تدفقت الآليات والمدرعات والدبابات السعودية على المناطق الجنوبية منذ الثالث من نوفمبر الجاري، ولاتزال، حتى بلغت القوات نحو خمسين ألفاً، عدا آلاف أخرى تتبع وزارة الداخلية وقواتها الخاصة. القوات السعودية جاءت من قاعدة خميس مشيط القريبة، ومن قاعدة تبوك الشمالية الغربية القريبة من الحدود مع اسرائيل، وجاء من تلك القاعدة الطيارون ولواء المظليين وقوات مدرعة، أخليت شوارع مدينة جازان وقراها لمرور قوافلها.

هذا ولازال مطار جازان المدني يغلق بين فترة وأخرى من أجل افساح المجال للقوات السعودية لإنزال قواتها وإمداداتها اللوجستية عبره. وقد أجلت السعودية مواطنيها القاطنين في القرى المحاذية للحدود اليمنية، والتي يبلغ عددها ٢٤٠ قرية، وهي تستعد لاجلاء كثافة بشرية تزيد على مائة ألف أخرى من قرى العارضة، وهو امر اعتبره عسكريون مؤشر على أن السعودية تتجه للتدخل البري بكثافة في الحرب، خاصة وأن علي عبدالله صالح قال بأن الحرب لم تبدأ (إلا قبل يومين) مشيراً الى أنها اصبحت حرباً حقيقية بعد تدخل القوات السعودية.

وتفيد أنباء مطلعة بأن المواطنين في المناطق الحدودية، لا يرغبون في الحرب وآثارها، وينتقدون الحكومة السعودية لتدخلاتها المباشرة، كما أنهم يشكون من تأخر الحكومة السعودية في حل أزمات السكن للمواطنين الذين أجلوا من ديارهم. أما المثقفون السعوديون فيعتقدون بأن علي عبدالله صالح نجح في توريط السعودية في الشأن اليمني، فيما يقول آخرون بأن السعودية لم تعتقد أساساً أن تتطور الحرب وتأخذ هذه المدّة، خاصة وأن دعمها بالسلاح والمال والرجال (عبر رجال القبائل الموالين لها وكذلك متطرفي الوهابية والقاعدة) مستمر. وتخشى الحكومة السعودية بأن الجيش اليمني، الذي يتشكل في جزء كبير منه من الزيود لا يرغب في خوض الحرب.

لم يكن هدف السعوديين استعادة جبل دخان، بل كان الهدف (الوهم) هو القضاء على الحوثيين والى الأبد، كما تظهر ذلك منتجات الإعلام السعودي، الذي وصم الحوثيين بالشرذمة، والفلول، والفئة الضالة والعميلة والكافرة!

وتحت شعار وهابي قديم يقول: (هبّت هبوب الجنّة وينك يا باغيها) استعدت السعودية لمعركة برية بعد قصف جوي مركز من طائرات التورنادو والإف ١٥، ولكنها أصيبت في أول تجربة بانكسار لها وذلك حين دخلت بعض القوات البرية السعودية ساحة المعركة يوم الجمعة ٢٠٠٩/١١/٦، وما لبث ان هرب الجنود السعوديون وقبض



قصف بالمدفعية الثقيلة

على أربعة منهم، قال خالد بن سلطان (وزير الدفاع الفعلي) أنهم (مفقودون) وأنه ليس هناك أسرى حرب!!

السعودية التي توقع الكثيرون أنها ستتروى في قراراتها قبل أن تقتحم أراضي اليمن، لما له انعكاسات خطيرة على وضع الرئيس اليمني ابتداء، وعلى القوات السعودية نفسها غير المؤهلة للقتال، خاصة قتال العصابات، تجد نفسها متحمسة كثيراً للمعارك، وتعتقد بأنها قادرة على وضع القوات الحوثية بين فكي الكماشة، وإنقاذ الجيش اليمني العاجز عن حسم المعركة لصالحه.

وفي هذا الإطار اعتقد كثيرون بأن الرئيس علي عبدالله صالح قد جرّ السعودية الى الحرب، في حين أكد آخرون بأن الحرب السادسة ما هي الا اختراع سعودي، حرضت عليها وموّلتها ولكنها لم تأت بما تشتهي. وفي هذا الإطار تتكرر في الإعلام شبه الرسمي الحكومي اتهامات للجيش اليمني نفسه بأنه متواطئ مع الحوثيين، وأن كثيراً من السلاح السعودي قد بيع لهم أو سلموه لهم بدلاً من أن يقاتلوهم به.

وتعتقد السعودية بأن تضخم قوة الحوثيين، يعني انفراطاً لنظام حكم علي عبدالله صالح الذي يواجه دعوات انفصالية في الجنوب، والذي تعتبره ـ في الوقت الحالي ـ الأمين على المصالح والنفوذ السعوديين. والسعودية التي استثمرت مذهبياً وسياسياً في اليمن، حتى صارت لها الكلمة الأولى فيه، تجد نفسها غير قادرة على خسارة نفوذها الكبير الذي لا يضاهيه أي نفوذ آخر في اليمن، خاصة بعد خسارتها الكثير من مكانتها ونفوذها في العراق وافغانستان وفلسطين ولبنان وحتى في بلدان خليجية.

ومع ان السعوديين يتحدثون عن انتصارات باهرة حققها جيشهم، يقول المراقبون للوضع الميداني، بأن من المستحيل أن تحقق الحكومة السعودية انتصارات بقواتها الجوية فحسب، وبالتالي فلا بد وأن تدخل المعارك برياً، وهي مسألة وقت، قد تتورط فيها السعودية تدريجياً ثم لا تلبث ان تعجز عن التراجع، مثلما حصل للقوات المصرية في الستينيات الميلادية من القرن الماضي.

التدخل السعودي له محاذير على الوضع اليمني، فقد أفادت الأنباء بأن تمرداً أولياً ظهر في عدة ألوية يمنية بينها لواء العماليق، وألوية أخرى تتشكل في معظمها من قوات جنوبية. ولاحظ مراقبون أن دخول السعودية للأراضي اليمنية قد غير طابع المعركة، فهو من جهة بيّن ضعف الرئيس علي عبدالله صالح قبالة من أسماهم بالشراذم؛ ومن جهة ثانية استثار حفيظة اليمنيين وهويتهم الوطنية وأخرج الحرب من تصنيفها الرسمي كتمرد على السلطة المركزية، بحيث صارت الحرب ذات صبغة وطنية (يمنية ـ سعودية) وهو ما أدّى فيما يبدو الى تمردات الجيش، الذي استشعر الإهانة من السعوديين. وحتى الآن لم يعرف تماماً حجم التمرد، ولم يبد منه سوى قمة الجبل، ولكن استمرار الهجوم السعودي، سيكشفه على السطح، كما يتوقع الحوثيون أنفسهم.

غنيّ عن القول بأن الذاكرة اليمنية تختزن احداث احتلال السعوديين لمساحات واسعة من الأراضي في الثلاثينات الميلادية الماضي، كما أن تلك الذاكرة تئن من ثقل التدخلات المباشرة التي وصلت الى اغتيال السعوديين للرئيسين الأسبقين ابراهيم الحمدي، والغشمي. وزيادة في ذلك فإن الذاكرة اليمنية القريبة لا تجد صعوبة في تذكر ما قام به السعوديون أواخر عام ١٩٩٠ حين طردوا أكثر من مليون عامل يمني وسلبوهم ممتلكاتهم.

السعودية تخسر المعركة

لم يقتنع العرب والمسلمون بمبررات السعودية بشأن اعلانها الحرب المباشرة على الحوثيين في اليمن، ولا المواطنون السعوديون اقتنعوا أيضاً، عدا أولئك المنتمين الى الدم النجدي الأزرق من المنتفعين والقابضين على السلطة، من الذين يوجهون ويقررون المعارك في حين يذهب الجنوبيون وهم أفراد القوات السعودية الدنيا الى الحرب والقتل والأسر.

كل الجرحى، وكل القتلى، وكل الأسرى في صفوف السعوديين هم من أهل الجنوب، ولا يوجد نجدي واحد يقاتل على الجبهة، فالقتل لغيرهم، والمنفعة لهم في وقت ينفخون في نار الحرب، والطائفية، ويوجهون المعارك بالجملة ضد المواطنين في الحجاز والشرق باعتبارهم غير وطنيين لأنهم لم يعلنوا دعمهم لقوات نجد الباسلة!

لماذا الحرب؟ هل هي لدعم علي عبدالله صالح؟ هل هي لإيقاف التسلل من مواطنين يمنيين باحثين عن عمل، فأصبح كل متسلل حوثي؟! هل هي حرب طائفية ضد الشيعة (الزيدية هذه المرة)؟ هل هي مناكفة مع ايران؟ لا أحد يعرف على وجه الدقة ماذا تريد



الطيران السعودي يقصف القرى اليمنية

السعودية، وما لذي جعلها تنخرط في الحرب غير المبررة، لمجرد أن جندياً قتل من حرس حدودها؟ هل هذا يبرر استخدام الطائرات وحشد نحو خمسين ألف جندي على الحدود، وقصف القرى والمواقع اليمنية بالطائرات والمدافع الثقيلة؟

لا يوجد مبرر مطلقاً.

تستطيع الحكومة السعودية ـ إن كانت ترى القضية قضية متسللين ـ أن تغلق حدودها بدون حروب.

وتستطيع السعودية أن تستثير النزعة الوطنية لدى السعوديين ـ إن وجدت! ـ دون أن تستخدم الخطاب الطائفي ضد الشيعة وضد الصوفية، خاصة في الداخل. لماذا تفتح لها معركة في الداخل ضد شعبها أو جزءً كبيراً منه، في وقت تزعم فيه أنها مضطرة لخوض حرب ضد مجرد (فلول وشراذم)!

وتستطيع السعودية أن تحقق انتصارات في الأهداف، إن كانت ضمن حدودها، لا أن تروج للقضاء على الحوثيين وتعلن في بيان رسمي أنها بصدد الدخول الى اليمن بالتنسيق مع الحكومة هناك، لجعل الحوثيين بين فكي كماشة جيشين، ودون أن تبادر الى المعركة البرية التي خسرت أولى جولاتها فأسر عدد من جنودها.

(التواضع) ليست صفة سعودية/ نجدية، فالعائلة المالكة وأتباع الوهابية يستخفون

كل أحد ديناً وثقافة وحتى عرقاً! ويعتقدون أن أموالهم ووهابيتهم منحتهم الحق في الإستعلاء على الآخرين، والإستهانة به. وهنا مقتل الحكومة والوهابية، التي وضعت أهدافاً كبيرة غير قادرة على انجازها. حتى أنها غير قادرة كما يبدو على ضبط حدودها، وغير قادرة على إدارة مشكلة النازحين من قراهم وتوفير المأوى المناسب.

عجزت السعودية في إقناع الآخرين بأنها تمارس حرباً دفاعية. فكيف يحشد جيش عرمرمي بمختلف الأسلحة الثقيلة والحديثة ضد (زمرة حوثية) أو ضد (مدنيين يمنيين متسللين للعمل)؟!

سياسياً انتقد الإتحاد الأوروبي توسيع الحرب، وحمل علي عبدالله صالح مسؤولية الحفاظ على أرواح المدنيين، وانتقد منع قوافل الإغاثة للنازحين. مشيراً بطرف خفي لما تقوم به السعودية نفسها والتي تلقت نقداً كبيراً من المنظمات الدولية ضد تصرفاتها إزاء منع وصول الإمدادات للمدنيين المحاصرين في صعدة.

والولايات المتحدة التي اعطت الضوء الأخضر لعدوان آل سعود، نصحت السعوديين بعدم توسيع الحرب، لأنه لا يمكن حسمها عسكرياً كما جاء في بيان المتحدث باسم الخارجية الأميركية. وكأن الأميركيين يقولون للسعوديين إن أردتم التجربة فجرّبوا! لن نكون معكم في القتال فنحن مشغولون في العراق وأفغانستان، انزعوا شوككم لوحدكم وتحملوا نتائج سياساتكم.

لم تدعم السعودية إلا بضع دول، وكلها أكدت حق السعودية في الدفاع عن أراضيها، وهذا حق. ولكن السعودية لا تدافع عن أراضيها وإنما تقصف وتتدخل في مناطق الآخرين. هذا ليس دفاعاً، وما يقوم به الطيران السعودي ليس دفاعاً عن أرض بقدر ما هو تدخل سافر وتعدٍّ واضح على الآخرين. نعم هناك بعض الدول العربية الغبيّة التي تكشف عوراتها أمام اسرائيل، تحرّض السعودية للمضي في المعارك وقتل المدنيين. ولكن الله أوقع آل سعود في شر أعمالهم.

على صعيد الإعلام بدت السعودية ذات الإمبراطورية الضخمة عاجزة عن مواجهة الخطاب السياسي الرصين للحوثيين، الذي يدعو الى حل سلمي، والى حوار.. وكان يدعم خطاباته بأرقام لا مبالغة فيها، وبصور ومقاطع فيديو يثبت الحوثيون من خلاله مدعياتهم، وهي مقاطع فرضت نفسها على الإعلام العربي والعالمي، بل فرضت نفسها على فضائية العربية، وعلى منتديات الإنترنت الموالية لآل سعود، وهي في معظمها وهابية ونجدية (مثل منتدى الليبرالية النجدية الطائفية العمياء، ومنتدى الساحات وغيرها). ويمكن متابعة العربية ليكتشف الدجل السعودي بسهولة، والأخطاء الفاضحة التي تكشف عن هزال الإعلام السعودي الحربي، المتأخر، والذي يميل الى التعتيم.

الصحف السعودية تتحدث عن أن كل متسلل حوثي. وللعلم فإن أكثر من ثلاثين ألفاً قبل واقعة الدخان بأسبوعين تسللوا الى السعودية حسب البيانات الرسمية، فهل هؤلاء حوثيون، وماذا يصنع الحوثي في السعودية. هل سمعتم أنه فجر نفسه، أو اعتدى على أحد، أو سيطر على منطقة، أو ما أشبه؟! ويبالغ الإعلام السعودي ـ كما رفيقه الإعلام اليمني ـ في عدد القتلى الحوثيين حتى وصلوا بالآلاف والأسرى بالمئات، ما يخرج الموضوع عن (زمرة متمردة). والإعلام السعودي في مبالغاته وصل الى حد مخالفة الذوق، كقوله أنه رصد أحاديث باللغة الفارسية! بين الحوثيين والإيرانيين، أو كالقول ـ كما صحافة آل سعود في ٢٠٠٩/١١/١٠ ـ بأن الحوثيين يستخدمون القرود في المعارك الأمامية، كما الأغنام!! أو الزعم بأن القاعدة تتحالف مع الحوثيين، في حين أن الجاهل يدرك اختلاف المنهجين، الى حد التعارض التام. هذا عدا أن الإعلام السعودي وقع في مصيدة استسخاف قوة الخصم، والإيحاء بأنه سيقضى عليه خلال يوم أو بعض يوم، بل وسيشوى جلده، ويحرق، ويدمّر. دعك من الأوصاف التي يطلقها الاعلام السعودي والتي تحوي كما هائلاً من الروح الطائفية والشوفينية العنصرية والتحقير الذي لا يليق استخدامه ضد أي كائن بشري. هذا التقليل من أهمية الخصم، أوقع المصفقين لآل سعود في مأزق، فكيف بفئة متمردة صغيرة تقف أمام جيش آل سعود وأمام الجيش اليمني معاً؟!

لقد استطاعت السعودية وحكومة اليمن من محاربة الحوثيين على مواقعهم على الإنترنت، واحتل الهاكرز الوهابي موقع صعدة أون لاين وقبل ذلك تم الإستيلاء على موقع للحوثيين على اليوتيوب، وهذا يبين أن امبراطورية الشر الإعلامية السعودية غير فاعلة في المعركة، لأنها امبراطورية قامت على الكذب والإعتداء والدجل واشعال الفتن.

وفي هذا السياق يمكن القول أيضاً بأن موقع جازان، وجازان نيوز، واللذان كانا في أيام المواجهة الأولى ينشرا أخباراً خاصة من المواطنين في جازان، أصبحا بوقاً للنظام السعودي، ولم يعد يحتويان على شيء ذي فائدة غير التهديد بالقتل والذبح والحرق للحوثيين وشتمهم طائفياً وغير ذلك مما هو معهود من سدنة الوهابية، ما جعل المواطنين يبحثون عن المواقع الأخرى، بل ويشاركون في المنتديات اليمنية نفسها. والغريب، أن وزارة الداخلية السعودية بالتعاضد مع الأمن اليمني، قد دفعا بأتباعهما خفافيش الإنترنت ليشاركوا في حفلات الشتائم والتهديد والمغالاة في الإنتصارات العسكرية التي يحققها السعوديون، ولكن ـ كما هي عادة النجديين أتباع الوهابية ـ لا يكادوا يدخلون موقعاً إلا ويستفزون اليمنيين فيه، المؤيد أو المحايد، بسبب اطلاقهم صفات التكفير على الجميع، وإبداء روح الإستعلاء عليهم وكيف أنهم يعيشون من خيرات السعودية، الى حد أن البعض غيّر توجهه السياسي، فكان مخبرو آل سعود خير وسيلة لكي يصطف المزيد من اليمنيين الى جانب الحوثيين وضد حكم شاويش صنعاء.



الاستيلاء على غنائم الجيش

لذا يمكن القول بأن المعركة السياسية والإعلامية والعسكرية قد كسب جولتها الأولى الحوثيون الذين يدافعون عن أرضهم وأهليهم.

حرب لا أخلاقية ولا دينية ولا وطنية

الحرب السعودية الثانية على اليمن

محمد فلالي

الحرب التي تشنها الحكومة السعودية ليست حرباً وطنية.

بمعنى أنها ليست حرباً من أجل استرجاع أرض احتلها الحوثيون.

ولا هي حرب لمنع حوثيين من احتلال أراض سعودية.

لقد أشاعت الحكومة السعودية أن أراض لها قد احتلت. وأشاعت ثانياً أن هناك متسللين حوثيين الى أراضيها لم تقل لنا ماذا صنعوا وفعلوا بعد مزاعم تسللهم، وحاولت ربطهم بهجمات انتحارية لم تقع، محاولة الربط بينهم وبين القاعدة.

وبعد هذا، قالت الحكومة السعودية أنها طهرّت أراضيها من المتسللين، كما أنها استعادت اراضيها، المزعومة في جبل دخان.

إذن ماذا تبقى من مبررات الحرب؟

لماذا لم تقف السعودية عند الحدود؟

ولماذا يراد من العرب والمسلمين والمواطنين أن يدعموا العدوان السعودي المستمر؟

بهذا المعنى لا يمكن وصف الحرب السعودية إلا عدواناً وظلماً، خاصة وأن الطرف الحوثي يؤكد المرة تلو الأخرى بأنه مستعد للحوار، ويناشد السعودية احترام الجوار، وعدم الدخول في الحرب الى جانب الحكم في صنعاء ضد مواطنيه. ولطالما أعلن الحوثيون أنهم لا يبتغون أرضاً ولا يستهدفون شعباً سعوديين.

وفضلاً عن هذا، فإن أحداً لا يمكن أن يقتنع بأن الحوثيين بتلك القوة التي تجعلهم يستولون على أراض سعودية، أو يهددون أمنها القومي! ولم تظهر أية مؤشرات لذلك، ولم يكن دخول الحرب مبرراً من أساسه إلا العدوان. وحتى مقتل حرس حدودي سعودي واحد لا يمكن أن يكون مبرراً وطنياً لقصف الآخر ذي الأسلحة البدائية والأفراد المحدودين، قصفه بالتورنادو والإف ١٥ والأباتشي، وتدمير مدنه ومواقعه، في استعراض للعضلات مرافقاً لحالات من التشفي والإنتقام الطائفي البغيض.

النابحون باسم الوطنية السعودية، وكثير منهم يزعم الليبرالية، وأكثرهم من النجديين القابضين على السلطة، كشفوا عن روح طائفية وكراهية دينية وتعصباً مشيناً ضد الآخر الحوثي، وحتى ضد الآخر المذهبي في السعودية نفسها، وهو (آخرٌ) يمثل نسبة أكبر من السكان بالقياس الى الوهابيين، ومع هذا يتهم الأخيرون الأولون بأنهم مشركون وغير وطنيين، حتى ولو وقفوا مع الحكومة في عدوانها!

تحاول السعودية أن تختلق مبررات أخرى لتواصل الحرب في عملية مخطط لها، أي تطوير أهدافها، الى القضاء على الحوثيين.

أعلن خالد بن سلطان، القائم على العملية العسكرية، ووزير الدفاع الفعلي للدولة، أعلن في ٢٠٠٩/١١/١٠م، بأن الحرب لن تتوقف ضد الحوثيين ما لم يتم إبعادهم عن الحدود عشرات الكيلومترات!! حتى تأمن السعودية على (أمنها القومي!) وهذا من الأهداف مستحيلة الوقوع، لأنه يعني تخلياً عن صعدة كاملة، وربما أبعد من ذلك، وتهجير كل السكان بعيداً عن الحدود!

ومن مبررات السعودية التي ستتخلى عنها قريباً، مسألة تحالف القاعدة مع الحوثيين، وقد كفانا الطرفان رداً على النظام، فزعيم الحوثيين قال في ٢٠٠٩/١١/١٠ أنهم يختلفون مع القاعدة في المنهج، وأنهم لا يكفرون أحداً، وأن القاعدة صناعة أميركية في أساسها، وفي خدمة أغراضها. وقبل هذا، وفي نفس اليوم نشرت الصحف تصريحاً لمسؤول قاعدة جزيرة العرب (السعودية واليمن) يكفر فيها الشيعة بكل أصنافهم بمن فيهم الزيدية ويعتبرهم أعداء للسنّة وقال بأن الزيدية يزحفون على مناطق السنّة، وأن الشيعة هم (العدو الأول) وأن النظام السعودي (العميل بنظرهم) مقصّر في مواجهتهم!!

بمثل هذا الموقف القاعدي الصريح، يتبين أن القاعدة أو بعض أجزائها يمكن جرّها لخدمة المشروع السعودي الحربي في اليمن، أي أن تشارك في الحرب الى جانب شاويش صنعاء والجيش السعودي ضمن غطاء طائفي وهابي. وقد سبق للسعودية أن دعمت القاعدة والزرقاوي في العراق، وصدرت مقاتلي القاعدة السعوديين لتفجير أنفسهم في شوارع بغداد والمدن الأخرى واسواقها ومساجدها. ايضاً استخدمت السعودية القاعدة في رفح مؤخراً ضد حماس حينما أعلن القاعديون تشكيل حكومة اسلامية هناك، كما استخدمتها في نهر البارد (فتح الإسلام). بمعنى



الحوثيون: مجتمع مقاوم للتمييز الرسمي

آخر، فإن السعودية (ضد) القاعدة إن كانت تضرب السعودية أو دول لها علاقة طيبة معها، ولكنها (معها) إن كانت تواجه سوريا أو حماس أو حزب الله أو إيران (جند الله البلوشية). فمالذي يمنع السعودية من استخدام القاعدة في اليمن لو أتيح لها ذلك؟!

وكما أن الحرب السعودية العدوانية حرب غير وطنية في مبرراتها، وراح ضحيتها مدنيون أبرياء، فإنها حرب غير وطنية في استهدافاتها الحقيقية، أي في استهداف الحوثيين واجتثاثهم كما يوضح ذلك إعلام السعودية نفسه، المحلي

والخارجي. لماذا تريد السعودية أن تقضي على الحوثيين؟ أي جرم ارتكبوه ضدها؟ لماذا لم تعتبر الأمر (صراعهم مع الحكم المركزي) شأناً داخلياً، وتكف عن التدخل، أو تقوم بفعل خير فتتوسط بين الطرفين لحل الأزمة؟ لماذا تخلق السعودية لها عدواً لم يعلن عداءه لها، ولا قال أن مواجهة السعودية من أهدافه، ولا مارس فعلاً على الأرض يمكن تصنيفه ضمن ذلك، ولا كان خطابه السياسي والإعلامي موجهاً ضد السعودية. هذا بالرغم من أن السعودية تشن حربها الإعلامية ضد الحوثيين، وتدفع أثمان شن الغارات العسكرية عليهم، قبل أن تشنّها بنفسها، وتجنّد جهدها السياسي لخدمة طرف في اليمن، هو علي عبدالله صالح، الذي يعتبر الكثيرون بقاءه في الحكم تفتيتاً للدولة وتفكيكاً لها. ٣١ عاماً والرئيس يحكم، ويسيطر على مفاصل الحياة السياسية والإقتصادية وغيرها. فلماذا تربط السعودية نفوذها ومصالحها مع حاكم انتهت صلاحيته، مع حصان كان رابحاً يوماً ما، أما اليوم فإن دعم السعودية له يحملها أعباءً سياسية ويقلص نفوذها في حال حدث تغيير راديكالي في اليمن.

لا يوجد هدف وطني، ولا مصلحة وطنية بشن الحرب على الحوثيين الذين كانت قبائلهم الى وقت قريب حليفاً تاريخياً للسعودية ولحكم الإمامة في اليمن الذي دعمه السعوديون بعد سقوطه، ولمدة سبع سنوات في حرب مع مصر عبدالناصر.

لا يوجد هدف وطني ولا مصلحة وطنية، في تضخيم القوة الحوثيّة، وفي ربطها بإيران قسراً، وفي افتعال الأكاذيب والأضاليل ضدها، وفي ربطها بالقاعدة زوراً وبهتاناً، وفي تحويل المعركة الى حرب إقليمية، وحربٍ طائفية على مستوى العالم العربي والإسلامي وحتى اليمني.

ولهذا نتساءل لماذا يراد من الجمهور المسعود أن يدعمها وأن يصطف وراء آل سعود في ظلم يراه رأي العين، في حين يرى بالعين الأخرى التهاون السعودي تجاه اسرائيل، ويرى صم الآذان عن استغاثات أهل غزّة؟

هل الجمهور مغفل لكي يركض وراء دعايات الوهابية النجدية الحمقاء التي تستثير الروح الطائفية للحرب، وهو يرى أن الطائرات السعودية والقوات المظلية تستقدم من الحدود القريبة من اسرائيل (قاعدة تبوك) الى مناطق الجنوب، لملاقات (شرذمة أو فئة ضالة) يريد آل سعود وعلي عبدالله صالح والوهابية رديفاً: حرقها وقتلها واستئصالها الى آخر عبارات التهديد؟

إن ما تقوم به حكومة آل سعود ليست حرباً وطنية، وليس غرضها الدفاع عن أرض أو عرض أو حتى حماية ثغر من ثغور الوطن.

الحرب ضد شعب اليمن أو قسم كبير من ذلك الشعب، هي حرب علي عبدالله صالح. هي حرب مغطاة من بعض أركان الإدارة الأميركية، وهي حرب تخدم اسرائيل في النهاية التي لم يوجه لها السعوديون والوهابيون بالذات وخاصة القاعديون، طلقة واحدة، فيما هم يتهمون أعداءهم المذهبيين (وهم باقي المسلمين) بالكفر والعمالة والإلحاد والضلال.

إنها حرب طائفية في دوافعها.

وإنها لحرب غبيّة في إدارتها.

وهي حرب خاسرة منذ بدايتها، وستتأكد الخسارة في نهايتها.

وإنها حرب عدوانية ولا أخلاقية ضد طرف اعتقد السعوديون أنه الأضعف فرأوا تدريب طياريهم ومدافعهم في رأسه!

ولذا كله..

هي ليست حربنا نحن المواطنين!

إنها حرب النظام الذي يريد أن يتحصل على اصطفاف شعبي يديم قمعه واستبداده ويطيل عمره بها.

وحرب النظام السعودي لا علاقة لها بمصلحة إسلامية ولا بحسن جوار ولا بأخلاقيات ومناقبيات الحرب.

يكفي أن تقرأ موقعاً وهابياً أو نجدياً لتتأكد أن وجهة الحرب والإعتداء على اليمن لا علاقة له بتسلل ولا باحتلال أرض ولا بأي هدف وطني.

إنها ليست حربنا، ومدافعنا وطائراتنا التي خرست لعقود طويلة، منذ أن تأسس ملك آل سعود، ها هو النظام يستخدمها اليوم بالصورة المباشرة ضد الجار الفقير والضعيف، معتقداً أنها ستمنحه اعتباراً إقليمياً إن هو انتصر فيها.

ولكن، قد يكون المخبوء عكس ذلك تماماً.

إننا لا نريد للحرب أن تستمر، ليس فقط لأنها تضر بالأبرياء اليمنيين بدرجة أساس، وأنها عدوان سافر عليهم ولا يدعمها رادع اخلاقي أو مبرر سياسي حقيقي. بل أننا لا نريد الحرب أيضاً، لأن قناعتنا تقول بأن الشعب المسعود نفسه سيكون خاسراً، والحكومة السعودية نفسها وجيشها سيخسران الحرب سياسياً وعسكرياً وأخلاقياً أيضاً. وإن مكانة السعودية في استعراض عضلاتها على من تعتقد أنهم ضعفاء وستنتصر عليهم، قد يدمون مقلتها، ويهيينون كرامتها وكرامة جيشها على أرضهم.

وحتى الآن فإن المواطنين خاصة في جازان يدفعون الثمن، فضلاً عن الثمن الإقتصادي.

لقد تبيّن أن إجلاء عشرات الآلاف من المواطنين من ٢٤٠ قرية، وآلاف آخرين في الطريق، لم يكن بدافع الحرص عليهم، فأي محلل سياسي يدرك بأن الإجلاء القسري لم يكن بسبب تهديد الحوثيين، ولا توجد مبررات له حفاظاً على أرواحهم، بل لأن السعودية تتهيّأ لمعركة تعتقد أنها فاصلة، وأنها ستجر الحوثيين لإطلاق قذائفهم على القرى السعودية.

لم يقتل مواطن واحد قبل الإجلاء ودخول السعودية المعركة مباشرة. نعم جرح بضعة مواطنين حين قصفتهم طائرة يمنية خطأً في مركز الرعاية الصحية في الجابري، كما أعلن رسمياً في حينه. ويوم اشتعلت الحرب، قصفت طائرة سعودية قرية القرن خطأً وقتلت سبعة بينهم ثلاث نساء، احتسبوا ضمن ضحايا الحرب وخسائرها جنباً الى جنب عنصر حرس الحدود، وكأن الحوثيين هم الذين قتلوهم!



تضخيم الخطر الايراني لاستحلاب الدعم السعودي

إن كانت السعودية تبحث عن صراع مع إيران، فليس ساحته اليمن، ولن نصدّق بأن الحوثيين الزيود الذين كانوا بالأمس في جبهة الإسلام السعودي ضد كفر عبدالناصر، تحولوا فجأة الى كفار مشركين روافض، حسب الأوصاف الوهابية للشيعة الإمامية.

ملخص القول: الحرب السعودية غير وطنية، ولا دينية ولا أخلاقية، ولا يجب أن يدافع عنها المواطنون. وكل من يؤيدها إما مضلل، أو منتفع مأجور، وما أكثر المأجورين عند آل سعود!



وطن من دخان

سعد الشريف

إذا كان من رمزية للهلوسة الوطنية التي تطلقها المواقع النجدية بكل ارتداءاتها الايديولوجية المقيتة فهو جبل الدخان الواقع على حدود ديارنا مع اليمن السعيد، والذي داهم ذاكرتنا الجماعية مؤخراً. من وحي الروايات العسكرية، فإن هذا الجبل يفقد خصائص الشموخ في اللحظات الأولى لاحتلاله من أي طرف، رغم أن قيمته الإستراتيجية تغري كل طرف قريب منه، سواء حكومات أو جماعات عسكرية، بأن يفرض سيطرته عليه، أو على الأقل تحييد تلك القيمة الميدانية الحيوية. ولكن رمزية وجوده (جبلاً) تجعل السيطرة عليه من جانب حكومة ديارنا مطلوباً من ناحية معنوية الى جانب الناحية الاستراتيجية المنظورة.

في ضوء تلك التلبيسات الحقيقية والمفتعلة، نقارب موضوعة الزوبعة الوطنية التي تنفجّر نجدياً دون مائز أيديولوجي سلفياً كان أم ليبرالياً، أو حتى إلحادياً، فالاصطفاف الوطني يتأسس على ذاكرة تاريخية مشتركة، ذاكرة المنجز ـ الدولة، التي قامت تحت ظلال السيوف. وكما هو الحال بالنسبة لجبل الدخان، فإن الوطن لا يصمد طويلاً، فهو لا يبزغ إلا فجأة، ولا يشعر به إلا النجدي، المنتصر. صحيح أن الوطنية تطلع ثقافي أكثر منه حقيقة، وكثير من الذين يكتبون في الوطن ومتوالياته، إنما يكتبون عن وطن متخيّل، ولكنهم حين اشتداد البأس السياسي على الأكثرية، لا تسمع سوى صوت الوطنية النجدية، فلا تكترث الأكثرية لما يصيب السلطة من بلاء على مستوى الداخل أو الخارج، بل هناك من يضمر وأحياناً يعلن بأن كل سوء يحل بأهل الحكم حتى وإن أدى إلى تفكك الدولة إلى أجزاء هو من النعم المأمولة.

قلنا مراراً بأن كل تهديد مهما كان حجمه، يبعث على الفور هاجس التفكك وانفراط الوحدة الجيوسياسية القهرية للمملكة. للمرء تخيّل كيف يتحوّل جبل الدخان إلى محرّض على انبعاث هاجس تصدّع الوحدة..عسكرياً سقط جبل الدخان أكثر من مرة تحت سيطرة الحوثيين لمنع الجيش اليمني من استغلاله لقصف مناطق وتجمعات الجماعة الحوثية. السقوط المتكرر لجبل الدخان في أيدي الحوثيين يذكّرنا بكلام الملك عبد الله، حين كان ولياً للعهد، سنة ٢٠٠٥ مع أولياء أمور الطلاب، في نجد وليس في منطقة أخرى، بأن ولاءهم ضعيف.

لا يبعث الضلوع السعودي في حرب اليمنية أية مشاعر وطنية، باستثناء نجد و(المتشرّهين) من أقلام وأقزام إعلامية وثقافية، وإذا ما قرأنا مقالة في الوطن ومشتقاته، فإنها تعبّر بأمانة عن الروح النجدية، حتى لتكاد تختفي من فرط نشاطها التمايزات الايديولوجية والسياسية فيصبح الجميع في نجد، مع وجود استثناءات، صفّاً واحداً.

لا يعيش غير النجدي قلقاً من النوع الذي يعبّر عنه النجدي في كتاباته، وسجالاته، وحتى مرافعاته الوطنوية، والسبب في ذلك، أن غير النجدي يرى الأمر بالنسبة له سيّان سواء كان وطناً أم سلطة أم أي شيء آخر، فلن يغيّر من الواقع، الذي يقول بأن الدولة محكومة بعائلة مالكة، يسيطر فيها النجدي على أكثر من ثلاثة أرباع الجهاز البيروقراطي، ويمارس فيها التمييز على قاعدة قبلية ومناطقية ومذهبية، وتحتكر فيها فئة صغيرة مصادرة الثروة والقوة، دون شفافية ومحاسبة.

ماذا يغيّر في جوهر هذا الكيان حين تغيّر في نكهته، تماماً نقول مالفائدة أن يكون جبل الدخان جبلاً حين يفقد أي قيمة استراتيجية فيصبح عرضة للسقوط السريع تحت سيطرة من يقتحمه، والأنكى حين ينظر إليه على كونه رمزاً لوحدة وطنية، وهو الذي لا يلبث أن يتخلى عن شموخه حفاظاً على هويته كجبل.

ومثل آل سعود، فإن أنصارهم في نجد قد أدمنوا ثقافة توظيف القيم العليا لتعضيد مصالح خاصة، فمتى شعر النجدي بتحديات داخلية أو خارجية لجأ الى حزمة القيم الكبرى.

فبالأمس كانت القيم الدينية صالحة للإستعمال الداخلي والخارجي لقمع الخصوم، واليوم أصبحت القيم الوطنية تزاول دوراً ردعياً أكثر منه دوراً تحفيزياً. في اللاوعي واللاشعور لدى النجدي، كما هو لآل سعود قبل ذلك، بأن ليس هناك مشاعر وطنية حقيقية، تماماً كما أنه ليس هناك دولة وطنية، الأمر الذي يجعل مجرّد (التلهيج) الوطني كافياً لتحقيق هدف ردعوي، خشية استغلال ظروف الخطر التي تعيشها الدولة من قبل الغالبية المتضرّرة من سياساتها وربما وجودها فتلجأ الى تخريب العناصر المسؤولة عن حرمانها وقهرها بما يجعلها ضعيفة ومكشوفة في أوقات الأزمة.

ماحصل منذ انكشاف الدولة السعودية بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، أن هذه الدولة وإن تلطّت خلف عناوين علوية مثل الوطن، لم تعد قيمة مقدّسة في الإدارك العام، فقد سقطت من وجدان الجمهور العريض قبل أن تسقط من ثقافته، وما ظهورجماعات مسلّحة توجّه ضرباتها الى كل ما يرمز الى قوة النظام (وزارة الداخلية، المنشآت النفطية وغيرها)، سوى شكل تمرّد انقضاضي على الكيانية السعودية بكل ملحقاتها.

وشأن جبل الدخان الذي تعترف بوجوده ولا تثق به، فإن أسس الثقة في الدولة السعودية تهّدمت بصورة متسلسلة من قبل الغالبية العظمى من السكّان، فإن كل ما يصدر عنها أو يصيبها لا يعنيها بل لا يحرّك فيها حساً وطنياً من أي نوع، وقد تنظر اليها بأنها معركة الآخرين مع بعضهم.

مشكلة بعض النجديين الرومانسيين يعجبون أن تلك المشاعر الوطنوية التي يحملونها تبدو غائبة عن شبكة مشاعر الغالبية العظمى، ولم يكلّفوا أنفهسم عناء السؤال عن الجذور الحقيقية لانعدام مشاعر وطنية كالتي تغمرهم خصوصاً حين يتعرض الكيان لمخاطر وجودية داخلية كانت أم خارجية.

حين تصبح القيم العليا في ثقافة أية أمة أدوات ردع، إن لم يكن لائحة عقوبات، يتّم التحاكم وفقها يكون قد قرّر الذين يطالبون بتعميمها نهاية دراماتيكية للقيم، بل لكل ضوابط سامية يمكن أن تشكّل منطلقات لمواقف عديد الجماعات المنضوية تحت لواء الدولة. أقل ما ينجم من تداعيات أن توليداً فورياً إن لم يكن انبعاثاً لقيم فرعية تشيع بوتيرة متسارعة بين الجماعات المقهورة والمهمّشة. حين تقرر أي جماعة أن تعزل نفسها وحلفائها عن مجال تأثير الدولة، فلا تستعين بها على قضاء حاجاتها الخاصة، ولا تتحاكم إليها حين تتعرض لجور خاص أو عام، وتفعل ذلك كله بملء إرادتها على إسقاط الكيان في الوجدان الجماعي قبل سقوطه أو إسقاطه في الواقع.

ونتفق تماماً مع الرأي الذي يقول بأنه في حال فقدت الحقيقة الكبرى مورد الاجماع الشعبي قيمتها في الثقافة والوعي وشبكة المشاعر العامة فإن باقي الحقائق تصبح مجرد دالاّت على الفقدان الكبير أو قرب حصوله.

ألم يعد ظاهراً بجلاء غير مسبوق التجاهل المتشعّب أفقياً لنداءات تصدر من زوايا عدة وكلها تدور حول تحريض الإحساس الوطني لدى غالبية السكان، التي نزعت نفسها بعنف من مجال تأثير ذلك (الهيجان الوطني)، فليس هناك جمهور قادر على إتقان فن السير مع الكذبة حتى آخر المشوار، خصوصاً وأن الرسالة وصلت قبل إطلاق الكذبة.

فإذا كانت هناك جماعات مسلّحة تحاول أن تتكاثر شعبياً بهدف الانقضاض على الدولة من أدنى سواء عبر سلسلة مفتوحة من أشكال المواجهة السلمية والمسلّحة وصولاً إلى إطاحة الكيان، وهناك جماعات أخرى قررت أن تفصل نفسها بعد بلوغها مرحلة اليأس السياسي من أن تتحوّل وعود الملك عبد الله إلى القابلة التي تساعد على ولادة أفكار في الاصلاح والتغيير، وبالتالي تتحيّن كل فرصة مؤاتية لدفع الكيان نحو حتفه الأخير، وهناك جماعات صغيرة تمارس دوري السمسرة والمقايضة، فإن الوطن يعمل في غير أرض.

فبين من يسوّق مبادرات بين أطراف متنازعة ليقبض ثمنها، وبين من يبيع موقفاً مقابل ثمن مقطوع سلفاً وخلفاً..فنحن هناك لسنا أمام لحظات تاريخية حاسمة يبرز فيها المارد الوطني كمنقذ من الضياع والتفكك، بل شأن كل لحظات الضعف التي يمرّ بها الكيان ويكشف الناس عن جزء من مشاعرهم الحقيقية، أي إزاء وطن لم يشعروا به قط، فضلاً عن أن يجنوا ربحاً منه أو يستظلون به.

ستصيب الدهشة المصحوبة بالأسف كل الذي يراهنون على المقاربة الحالمة من أن التحديث قادر على تحطيم قيود التقليد والمحافظة، واحتواء المجتمعات ضمن قيم جديدة لا تنتمي الى الأنظمة الاجتماعية التقليدية القبلية أو المناطقية أو حتى الدينية، فقد كشف التوحّد بين الأضداد الظاهرية في نجد، عن أن التحديث لم ينجح في الوصول الى مركز التوجيه المعنوي أو المساس بالروح المشتركة التي تخفق في صدور النجديين على اختلاف أطيافهم الأيديولوجية والسياسية.

لا يبعث على الغرابة بزوغ توصيفات من قبيل (وهابي علماني، ووهابي نجدي، وليبرالي نجدي)، فالأشكال الأيديولوجية البائسة تطوف حول مركز كوني واحد هو نجد، الإقليم الذي نشأت فيه المغانم وعلى أساسها تحقق الاجماع ـ الدولة.

لا يفتتن النجدي بكل الأيديولوجيات الحديثة، وقد تكون مجرد استجابات طفولية أو ساخرة لمتغيرات خارجية، فما يعنيه في البدء والخاتمة الحفاظ على المصالح المشتركة باعتبارها المعادل الحاسم لأقدس الأديان والأيديولوجيات على وجه الأرض.

وينسحب الحال على الهلوسة الوطنية التي تشتغل في زمن محدد، حين تشعر الجماعة الممتازة المتحالفة مع أهل الحكم بخطر الزوال، ولذلك لا يبدأ مفعول تلك الهلوسة إلا حين تدق أجراس الخطر بوجود تهديد جماعي. لا غرابة، والحال هذه، أن تتوحّد الألوان في نجد في أزمنة الخطر، حيث يصبح الجميع ضد الجميع، ولا درجات متعددة في اللون، فليس هناك سوى الأبيض والأسود.

وتفقد الأسماء الحديثة الليبرالية والوطنية والعلمانية والحداثة هوياتها، حين تندغم في الروح الإقليمية الضيّقة، وتصبح جزءً من مشهد الدخان المنبعث من وطن يصنع على ابتهالات أزمة الجماعة الخاصة طلباً لنجاتها من أخطار قريبة وبعيدة.

ندرك جميعاً بأن الولاء للدولة ارتبط بنظام الرعاية، ولذلك فإن عمليات تهشيم الدولة بدأت مع انهيار ذلك النظام الذي صاحبه ونجم عنه تراخي القبضة الأمنية، فقد تبدّل وجه الدولة كما هيبتها وصورتها، وإنفرطت عرى الأمن ولم تعد الذراع الأمنية، التي كانت الدولة تتوعد خصومها بها، طويلة بالقدر الذي يحول دون وقوع حوادث أمنية متواترة، وفقدت الأجهزة الأمنية سرعة الوصول إلى مسرح الإضطرابات فور وقوعها، كما جرى في سرقة البنوك المتكررة، فضلاً عن الحوادث شبه اليومية ذات الطابع العنفي المسلح في أرجاء البلاد، وآخرها كرنفالية المشاغبات الشبابية في اليوم الوطني الأخير الذي عبّرت فيه مجاميع من الشباب عن عصيانها على الدولة في عيدها الوطني.

ولأن الهيبة لم تتأسس بصورة صحيحة، كونها ارتبطت بتأثيرات اقتصادية وتحالفات استراتيجية خارجية، وخصوصاً في دولة غير

مكتملة التكوين دولتياً ووطنياً، ولم تولد من وحي تظافر قناعات جماعية، ولم تكن تجسيداً سياسياً للأمة التي تقف وراءها، حينئذ تتقلص المسافة بين مولد الدولة وزوالها.

وصحّ القول بأنه لا يوجود معتدل ومتطرف في نجد حين تتعرض السلطة لخطر الزوال، حيث تكون المصلحة المشتركة محرّضاً فعالاً على الاصطفاف، وتشغيل كل طاقة المفاهيم الوطنية من أجل الدفاع عن خطر الزوال.

الاحتماء بتلك الكوكبة المفهومية صار بديلاً عن مصدر الحماية التقليدية، أي الدين، بعد أن أثخنته الوهابية بجروح بالغة بما جعله غير قادر على الاضطلاع بدور الحماية أو التمثيل.

وقيل بأن انبعاث المفاهيم الوطنية إشارة الى إحساس العائلة المالكة بأن وحدة الدولة تواجه الآن قبل أي وقت مضى مخاطر التفكك، الأمر الذي دفع بها الى التخلي عن الدين كعامل توحيد، فاضطرت أن تبقي على قدرته التعبوية ووهبت المفاهيم الوطنية سلطة توحيدية، ولكنها جاءت متهافتة، لأن الدين والوطن دخلا مجال التوحيد الاجتماعي والسياسي من البوابة النجدية وبالشروط النجدية أيضاً.

كل الحالات التي تمّ فيها تجريب المشاعر الوطنية لدى السكّان باءت بالفشل، لسبب بسيط: أن أصل موضوعها معدوم، وهو الوطن. ثمة ما يدعو للشفقة بالنسبة لأولئك الذين ينادون مع تصاعد المواجهات بين الجيش اليمني والجماعات الحوثية وانتقال ذيولها الى داخل الحدود الجنوبية من الديار. ليس هناك غير النجدي من يقول بأنه مع الوطن، مهما اختلف مع من يحكمه. ولابد أن نهمس في أذنه لنبلغه بأن الرسالة وصلت، ولكن الوطن ليس موجوداً ما لم يكن الغلاف الوهمي الذي يحيط بالدولة قد نال وصفة الوطنية، وفق مقتضيات المصلحة المتبادلة. ولماذا وحده النجدي الذي مهما كانت خلفيته الأيديولوجية والسياسية يتحدث بلغة السلطوي والمنتصر وصاحب الحق التاريخي. فهو يحارب من أجل ملك الآباء والأجداد، كما هو حال آل سعود، فقد شاركوا سوية في غزو المناطق، واحتلال الأراضي. يضحكني من يستبدل رايات الغزو بالأمس من طابعها الديني الى طابعها الوطني، رغم أن لا وطن حينئذ قائماً أو حتى في طور الولادة. وفقط الغزاة من يشعرون بأن منجز الآباء والأجداد أصبح عرضة للزوال كجبل الدخان، ولأنها دولة غزو في كل الأرجاء، فإن أول ما يتذكّره أبناء الآباء في نجد الحفاظ على إرث تاريخي مصبوغ بدماء..

هل حقاً كان الهدف بناء وطن، عاد الآباء والأجداد بوحدته، بعد أن أنجزوا ولادته، وهل حقاً حاربوا تحت راية وطنية، وقاتلوا من أجل غايات وطنية، وهل حقاً أيضاً عادوا فقط بالكرامة الوطنية، ولم يجمعوا الغنائم والمال والذهب والمواشي؟

سؤال الآباء والأجداد لأحفادهم يختلف تبعاً للحال الذي كانوا عليه، فإن كانوا ضحايا فإن سؤالهم يكون على هذا النحو: ماذا فعلتم للخلاص من إرث الجرائم التي اقترفها الغزاة المحليون؟ أما بالنسبة لمن أقاموا دولتهم على غزو الآخر، وقتله، وسلبه، ونهبه، فإن سؤال الآباء والأجداد سيكون هل مسحتم عاراً تاريخياً ندفع ثمنه في الدنيا والآخرة؟ وقد يتخيّل المنتصرون الأحياء بأن صيغة السؤال ستكون هل حافظتم على انتصارات السابقين؟

مهما تكن الاجابة، فإن الحاضر يكتب شهادة صادقة على ما كان وما يجري، ولدى الضحايا والمنتصرين أساليب جمة في التعبير عن مواقفهم. فالمشاعر الوطنية الطارئة لدى النجدي المنتصر، تبدو كجبل دخان حين يتنازل عن شموخه حفاظاً على موقعه.

فالأصداء الوطنية الغائبة في الجهات الأربع من الكيان تدلي بشهادة على تبدّد الوطن، ولا غضبة وطنية تسمع في أي من أرجاء الفضاء الواسع، فالذين خسروا حريتهم وحقوقهم بفعل نظام مهما ارتدى من سرابيل وطنية، فلن تحرّك عصباً وطنياً واحداً، لا يستحضر إلا حين تشعر الدولة القاهرة بتهديد في وجودها..

وكضحايا نأبى الظلم، ولا ننام على خديعة فاضحة، ولا نرضى سفك دم بريء، فهل الذي تتحرك فيهم دماء الثأر لمقتل جنود جبل الدخان وحواليه، على استعداد لفتح مسرب عاطفي يستوعب الدماء الأخرى التي سفكت على أيدي من يغضبون لوطن جرى تحديد مقاساته على جسد واحد، ليصبح الوطن إمتيازاً خاصاً بفئة، يستوجب على سواهم الدخول فيه مرغمين كارهين.



حرب الطغيان الرسمي على المدنيين في صعدة

ولا ندري لماذا توضع المعارضة في مقابل الوطن، المعدوم وجوداً، في مسعى فاضح لتشويه وجه المعارضة التي تناضل من أجل بناء وطن، وليس سلطة تساهلت حد الإستهتار بحقوق المواطن، الذي يبحث عن هوية، ووطن يحميه ويكفل حقوقه. لقد بات البعض يؤكّد على حقوق الوطن، الكائن الغائب، فيما تجاهل عن عمد حقوق المواطن، الكائن الحاضر بكثافة في الثقافة الشعبية.

ولماذا حين تواجه السلطة أخطاراً من صنع يدها يضع البعض قائمة الأسئلة العصيّة على الرفض من قبيل ترتيب الاولويات والمكاسب، فهل كانت المعادلة تلك حاضرة لدى السلطة في حال الرخاء والسلامة، أم أن الشدّة تستحضر الوطن فيما يغيّبه الرخاء، فلا تعرف السلطة عزّة، ورخاء، وحقوق الوطن إلا من زاوية الخطر الذي تعيشه.

إن التململ الذي يعيشه جبل الدخان يجسّد حال الناس في هذا البلد.. وأن سحابة الدخان التي تنبعث من مصافي النفط تمثّل جواب السلطة على مطالب الناس بالإصلاح والحقوق، وتعكس حالة الرفض العنيد الذي تتمسك به السلطة وتترجمه دخاناً يجلب أمراضاً شتى فيما يحصد أهل الحكم أموالاً طائلة، وكل ذلك بإسم الوطن الذي يخرج من بين سحب الدخان المنبعث من آبار النفط، وجبل الدخان في الجنوب، وللشعب أن يمدّ بصره عبر غمامة الدخان ليسأل عن مصيره قبل مصير جبل الدخان، بل ومئات الأمتار من الأرض سواء سقطت أم لم تسقط في أيدي خصوم السلطة وحلفائها. لا يسأل الناس عن بطولات الجيش، وأداء حرس الحدود، ولا استراتيجية قوات الطوارىء، ببساطة لأنها أجهزة لم تصمم على قاعدة وطنية، بل هي تجهيزات أعدّت منذ البداية لحماية السلطة وليس الشعب أو الأرض أو الوطن..

وكما هو موقف الغالبية من حروب السلطة مع دول مجاورة في السابق، فإن حرب الحكومة السعودية ضد الحوثيين في شمال اليمن ستكون بلا غطاء شعبي باستثناء الغطاء الذي يوفّره حلفاؤها في نجد، ولأنها حرب غير وطنية ولا صلة لها بكل ما هو وطني، هي حرب سيادة السلطة وليس الوطن، فالدخان المنبعث من حريق الحروب يرمز الى تبدّد عواطف الناس حيال سلطة تريد أن تستدرج اصطفافاً شعبياً في وقت كسدت فيها بضاعة وطنياتها كما كسد خطابها الديني، فليس من محرّض عاطفي ولا وجداني اليوم لدى الناس على دعمها في حرب يدرك الجميع بأنها دفاع عن مصالح ذاتية، فلتذهب وطنيات آل سعود مع دخان الحروب.

حسّ ميّت وهويّة وهابيّة غالبة!

الوطنية السعودية في الحرب

يحي مفتي

لم تفلح السعودية في تحفيز الحسِ الوطني (الميّت أصلاً) للإصطفاف معها سياسياً من قبل المواطنين.

ما إن بدأت الحكومة حربها على اليمن، حتى انبرى بعض النجديين من المنتفعين من السلطة الى العزف على وتر الوطنيّة، وتخوين من لا يؤيد الحرب ويدعو لحقن الدماء، أو من لا يرى في دوافعها الكامنة مشروعية تستدعي الدفاع عنها أو عن من قام بها من حكام آل سعود المستبدين.

لكن هذا اللحظة الصغيرة المفتعلة من التحشيد الوطني التي ظهرت في اليومين الأولين للهجوم السعودي، انقلبت بسرعة الى تحشيد طائفي مقيت، مبني أساساً على محاربةِ المشركين الزيود، وموجّه أساساً الى الوهابيين الأقلّويين المشاركين الأساس في القبض على السلطة النجدية والمستنفعين من مغانمها. وعليه: لماذا يراد من المواطنين المشركين الآخرين الحجازيين الشوافع والمالكية والصفوية، وكذا الشيعة في الشرق ومليون اسماعيلي وزيدي في الجنوب أن يدافعوا عن نظام آل سعود الموحّد المؤمن؟!

من يشعل نار الطائفية ضد الآخر الخارجي، سبق له أن أشعلها ضد الآخر الداخلي ولازالت مشتعلة، فأيّ حسّ وطني ودفاع عن وطن يمكن أن ينمو؟!

الطبقة النجدية الوهابية الحاكمة، اكتشفت صعوبة في التحشيد الوطني، في بلد يعتبر فيه الوهابيون الوطن وثناً، ويسمونه (الوثن). الهوية الوطنية قادرة على الحشد، ولكن ليس في السعودية. ببساطة لأنه ليست هناك هوية وطنية. لا يوجد إلا الهوية النجدية الوهابية السعودية (وكلها هويات مركزها والمنتفع منها نجدي) التي مُنحت - بلا شرف أو مقدرة - مقعد الهوية الوطنية، وبالتالي كان مستحيلاً ان تستخدم الهوية الوطنية في التحشيد السياسي وراء النظام في معركته ضد أية قوة خارجية، فضلاً عن أن تستخدم بالباطل ضد المستضعفين اليمنيين.

لا غرو أن تظهر شعارات الوهابية التي قتلوا على أساسها الأبرياء وأقاموا المذابح في الحجاز (تربة والطائف وغيرها): (هبت هبوب الجنة وينك يا باغيها) لتصبح اليوم شعار الحرب الوهابية المسعودة على اليمن، وأداة لتحشيد الوهابيين مجدداً ضد (الكافر اليمني).. وهل خُلقت الجنَة إلا للموحَد الوهابي، الذي يستشهد على يد المشرك والكافر؟!

يوم الجمعة ١٣/١١/٢٠٠٩، وتأكيداً لعنوان الحرب المذهبية، أرسلت وزارة الشؤون الدينية الى كل خطباء الجمعة، رسالة تأمرهم بأن يصطفوا مع النظام في حربه الظالمة، وعدوانه المستمر على الأبرياء، وأن يدعو للجيش السعودي بالنصر، ولقتلاه بالعفو والغفران! وبالفعل، كان إمام الحرم، صالح بن حميد، الذي يوصفه البعض بالإعتدال، تحدث في خطبته الأولى عن الولاء والبراء، مشيراً الى موالاة آل سعود والبراء من أعدائهم، والولاء لدين الوهابية والبراء من المشركين الاخرين غير الوهابيين. ويلاحظ هنا أن مفهوم الولاء والبراء قد هاجمته الحكومة وعلماء بلاطها حين استخدمته القاعدة ضد آل سعود الذين يوالون الكفار. وفي الخطبة الثانية حضت على دعم الجيش السعودي الذي (يحمي المقدسات)! وكأن الذي يهدد المقدسات ليس اسرائيل ولكن الحوثيين. وفي مساجد الوهابية الأخرى رفعت الأكف بالدعاء على الحوثيين، سائلين الله أن ينزل غضبه عليهم وأن يهلكهم.

وبادر أئمة الضلالِ الوهابية الى استخدام كل العبارات المسيئة للحط من الزيدية، والى الدعاء على من ينتمي اليها، في حين أن المفتي السعودي صرح مؤخراً بأنه لا يجوز في الحج الدعاء على المشركين والكفار، ولا إعلان البراءة منهم، لأن ذلك (تسييس للحج). نعم يجوز تسييس الحج لصالح السعودية وحدها. ويجوز تسييس صلوات الجمع الوهابية ضد أبناء المسلمين، ولا يجوز استخدامها (وقد منعت فعلاً بقرار رسمي) للدعاء لنصرة غزة أو لبنان أو أفغانستان أو غيرها ضد المحتلين.

ونعم يجوز إعلان البراءة من الحوثيين، ولا يجوز إعلانها ضد آل سعود الوهابيين وحلفائهم من الأميركيين والصهاينة.

لا تستطيع ولا ترغب الحكومة السعودية في استخدام اللغة الإسلامية الجامعة.

ولا تستطيع حكومة آل سعود استخدام اللغة الوطنية، فهي لا تعرفها، ولا تخدمها.

ولذا لا توجد إلا اللغة الطائفية، والا الخطاب التجزيئي التفكيكي للمجتمع السعودي نفسه.

لا تجد السعودية نفسها إلا في حروب على أساس مذهبي. تلك هي صنعتها، وتخصصها، وأداتها في ذلك التكفير لكل من خاصمها، فرداً أو جماعة، رئيساً أو مرؤوساً، ضعيفاً أو مستضعفاً.

الطائفية هي سلاح السعودية في حروبها. والدين مطيتها تسيّره كيفما شاءت. ترى هل آل سعود، الذين يظهرون على قنوات التلفزيون وعلى صفحات الجرائد ومنابر الإنترنت وهم يكرعون الخمر، قادة دين أم دنيا؟ ألمثل هؤلاء دين يبعدهم عن الغي والظلم والتعدّي على حقوق مواطنيهم قبل جيرانهم؟ أمثل هؤلاء يهتمون بدين وكل سلوكهم الشخصي، وسياساتهم وبرامجهم تصطدم وبديهيات الدين؟.

وهذه الوهابية العمياء، كما مفتوها دائماً، تدافع عن هكذا نظام، وتراه نظاماً إسلامياً، وتصطف الى جانبه في ظلمه، كما في فتوى عبدالعزيز آل الشيخ مفتي السعودية، الذي ظهر علينا وكأنه محلل سياسي، ليقول بأن السعودية لا تعتدي على أحد ولا تظلم أحداً! وليتهم الحوثيين بأنهم فاسدو العقيدة، وزاد بأنهم يروجون لمعتقدهم الفاسد!

صحيح ما قاله المثل العربي: (رمتني بدائها وانسلّت)! أين روج الحوثيون المستضعفون المحصورون بين الجبال لسنوات معتقدهم؟! ولماذا هو فاسد، وليس الوهابية؟! ثم أليست الوهابية هي التي تروج في كل العالم بأموال النفط، مثلما يروج لها في اليمن؟

حقاً، إن أقسى من فساد آل سعود، هو فساد علماء بلاطهم!

وصدق الشاعر حين قال:

يا علماء الدين يا ملح البلد/ ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

وصدق الله العظيم حين قال في كتابه الكريم: (وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ).

آفاق الحسم العسكري والحل السياسي

السعودية ومستنقع الحرب

خالد شبكشي

الحرب التي تشنها السعودية ضد اليمن، يمكن وصفها بأنها مستنقع يصعب ـ وليس يستحيل ـ الخروج منه.

وهي حرب رمال متحركة بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

هي حرب لا يمكن حسمها عسكرياً. هكذا قال الخبراء، وهكذا قال المتحدث باسم الخارجية الأميركي، وهكذا يقول الحوثيون الأقوياء على الأرض. وما يعزز هذا الرأي، ضعف الجيش السعودي، مفتقر الإرادة والحماسة لحرب هي ليست حربه، وهو الضعيف في الخبرة والتجربة القتالية، بحيث يمكن القول بأن الجيش السعودي المدجج بأرقى أنواع تكنولوجيا السلاح، لن تصنع له انتصاراً، ولا يمكنه استخدامها كلّها، عدا سلاح الجو والمدفعية التي تضرب من بعيد.

الحرب تحسم في الميدان البرّي. والأمراء السعوديون مترددون في تبني الحرب البرية بعد تجاربهم الفاشلة في الإقتحام البري، ولذا تظهر تصريحات متناقضة بين الحين والاخر. فقد نقل قائد الجيش الفعلي، الأمير خالد بن سلطان أمراً من الملك بأن (لا تدخلوا شبراً في اليمن). ثم جاء من تحدث وقال بأن الحرب لن تتوقف حتى يبتعد الحوثيون (وبالضرورة أهلوهم) عشرات الكيلومترات داخل الحدود اليمنية، وهذا لا يتم إلا بمعركة بريّة، بعد أن رفض الحوثيون مجرد التفكير في الأمر. ثم ظهرت تصريحات تقول بأن السعودية تريد ان تقيم منطقة عازلة، مع انها غير القادرة على ضبط حدودها أمام المتسللين من اليمنيين المهربين أو الباحثين عن العمل، فكيف بها أن تدير منطقة تحتلها برياً على غرار احتلال الشريط الحدودي اللبناني من قبل الجيش الإسرائيلي؟ ثم جاء تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية منسوب لمصدر سعودي لم يكشف عن اسمه، بأن السعودية لن تدخل الأراضي اليمنية، منعاً لإثارة روح البغضاء مع اليمنيين (اي ما تثيره الحرب لدى اليمنيين ضد المعتدي وهو السعودية وتحولها الى حرب وطنية).

لم يحسم الأمراء أمرهم بعد، وهم اكتفوا بالأمور السهلة، التي لا تجلب نصراً ألبتة، ولا يبدو أنها ستؤثر كثيراً على الميزان العسكري على الأرض. ونقصد بالأمور السهلة: القصف بالطيران، إذ لا منافس في هذا الأمر ولا مقاومة كبيرة تذكر من قبل الحوثيين. وهناك المدفعية البعيدة التي تقصف المدن والقرى اليمنية، وأيضاً ما سمي بالحصار البحري على موانئ يمنية قال السعوديون أنها لمنع تهريب السلاح الى الحوثيين. لاحظ هنا أن السعودية تتصرف مع اليمن بتشابه غريب مع تصرف اسرائيل تجاه لبنان!

لو كان القصف الجوي يحل الأمر لحله سلاح جو شاويش صنعاء، الذي استقدم الطيارين البعثيين لقصف مواطنيه، بعد أن تأكد له من الحروب الخمس السابقة أن الطيارين اليمنيين كانوا يلقون بقنابلهم بعيداً عن المناطق المدنية، أما البعثيون فهم من قصف سوق صعدة في رمضان الماضي، وهم من قصف النازحين في إحدى مديريات الجنوب. هؤلاء لا دين لهم إلا جيوبهم، مجرد مرتزقة.

السعودية لا تستطيع ان تتوسع في قصف المدنيين بالطيران، وهي وإن فعلت ذلك، فإنها قامت به بشكل محدود وخسائره رغم ارتفاعها بين المدنيين، إلا أنها لا تستطيع أن تفعل ما فعلته اسرائيل في الضاحية الجنوبية مثلاً، وذلك لأسباب تتعلق بردة الفعل الشعبية اليمنية والعالمية، كما أن حرب الطيران غير فاعلة ضد المقاتلين الحوثيين، وبالتالي فإن سلاح الطيران لا يؤثر كثيراً على المعارك، وإن سبب مشاكل كبيرة للمدنيين.

ذات الكلام يقال بالنسبة لسلاح المدفعية ودقّة اهدافه (إن كان لدى السعوديين معلومات استخبارية وبنك من الأهداف، وهذا مشكوك فيه أصلاً). وأما السلاح البحري المطوق للموانئ اليمنية الشمالية، فهذا مجرد حرب دعائية، هدفها توجيه الرأي العام العربي الى أن هناك من يزود الحوثيين بالسلاح من الخارج، والإيحاء بأنهم مجرد زمرة عميلة مرتزقة.

لا تعرف السعودية وقد دخلت الحرب مديات أهدافها بالضبط، ولا استقرّت على رأي بشأن الدخول البرّي المكثّف في الأراضي اليمنية، ولا الأهداف التي أعلنت عنها (المنطقة العازلة، والتراجع عشرات الكيلومترات) يمكن تحقيقها على ارض الواقع. وبالتالي فإن السعودية أمام خيارين:

الخيار الأول، البقاء على وضعها العسكري الحالي عند حدودها مع تواصل قصف الطيران والمدفعية ومحاصرة من البحر. وهذا لا يحسم المعركة، ولكنه قد يجرّ الحوثيين الى الردّ على الهجوم السعودي المتواصل، ونقل المعركة الى حيث منطقة جازان السعودية. وإذا حدث هذا، لا بد أن تدخل السعودية الحرب البريّة. قد يتجاهل الحوثيون الضربات الجوية السعودية إن كانت الخسائر قليلة، أما في حال تصاعد تلك الخسائر بين المدنيين اليمنيين، فإن المرجح قيامهم بمهاجمة القوات السعودية الرابضة عند الحدود. وحينها من البديهي ان تدور المعارك البرية بصورة من الصور وتتوسع وقد تأخذ ابعاداً أكثر خطورة.

الخيار الثاني، أن تبادر السعودية الآن بالحرب البريّة، وهو ما يريده خالد بن سلطان، وقد جرب ابتداءً ذلك، فكان أسر بضعة جنود سعوديين وقتل آخرين في اختبار لما يمكن أن تكون عليه الحرب المقبلة. فإن لم تكتف السعودية بهذا الدرس، ولا دروس الجيوش من قبلها، وواصلت الحرب البرية، أو حتى لو توقفت ضمن الخيار الأول الذي يمكن أن يؤدي الى الخيار الثاني، فإن نتائج الحرب البريّة ستكون غير حاسمة لصالح السعودية وحكومة

صنعاء في حال حققتا نتائج ايجابية. ولكن الواقع اليوم يقول أنـه من شبه المؤكد أن السعودية ستخسر الحرب البرية، وستكون مكلفة للغاية من الناحية البشرية، كما أنها مكلفة سياسياً للسعودية على الصعيد المحلي: فماذا ستقول السعودية لشعبها إن هي هزمت أمام (فئة أو حثالة أو جماعة متمردة) كما يقول إعلامها؟!

حتى الآن، فإن السعودية صارت مكشوفة عسكرياً وإعلامياً وسياسياً، وكأنها تقاد الى حتفها، الى حيث خسارتها التي لا يمكن ترقيعها. وفعلاً كما قال عبدالباري عطوان، فإن الحرب السعودية الحالية هي أخطر حرب واجهتها في تاريخها. وحين تخسر السعودية المعركة على جبال اليمن، فإن لذلك ارتدادات على الوضع المحلي: سقوط لهيبة النظام بحيث سيتجرّأ المواطنون عليه، وسقوط لشرعيته، وسقوط لمكانة السعودية الإقليمية والدولية، وكذا الخليجية.

السعودية تدرك اليوم أن القلّة من المواطنين والعرب والمسلمين تفاعلوا مع مشروعها للحرب. وهي تدرك أن خسارتها أمام الحوثيين تعني انهيار السدود أمام القاعدة لتتوسع وتعمل في السعودية. وهذا ما يقلق الأمير نايف، وزير الداخلية، حسب بعض الأنباء. سيزداد الإضطراب الداخلي وعدم الإستقرار السياسي داخل السعودية إن طالت الحرب، أو إن خسرتها. ولذا أمام السعودية اليوم فرصة أن توقف آلتها العسكرية وطائراتها ومدفعيتها، حتى وإن عنى ذلك خسارة في بعض سمعتها ومكانتها وتراجعاً عن أهدافها، فهذا أفضل من المضي قدماً الى نتائج معروفة ومحسومة سلفاً.

وعلى الصعيد اليمني، فإنه لن تكون هناك حربا أخرى، حرب سابعة مثلاً. هذه الحرب شقّت المجتمع اليمني بين معارض لاعتداء السعودية ـ وهم الأكثرية ـ وبين مؤيد لها، وهم الأقلية وبينهم زمرة علي عبدالله صالح وضباطه المنتفعون من الحرب. لم تعد الحرب حوثية مع السلطة المركزية، لقد تحول اتجاهها، وبالتالي، فإن مكانة السعودية التي بنتها بشق الأنفس في اليمن، والنفوذ الذي حافظت عليه منذ اربعة عقود، قابل للتبدد في أية لحظة، في حال تغيّر مناخ السياسة اليمنية أو أطيح بعلي عبدالله صالح.

التدخّل السعودي العسكري المباشر في الحرب اليمنية لا يقدّم ـ عكس ما يعتقده الكثيرون ـ خدمة لشاويش صنعاء، وإن حسب هذا الأخير أن ذلك يفيده، ويرفع عنه أعباءها. والسبب ليس في تحول وجهتها ضد السعودية وضدّه، وإنما لأن هذه الحرب هي آخر الحروب وآخر سهم في جعبة الرئيس اليمني. لماذا نقول أنها آخر الحروب؟ لأن نتائج هذه الحرب (السادسة) لن تكون في صالح علي عبدالله صالح، فهي من جهة قصّرت من عمرها، بسبب دخول السعودية طرفاً فيها، ولأنها حرب كبيرة فنتائجها ستكون حاسمة، في الميدانين العسكري والسياسي، أي أنها وصلت الى مرحلة كسر العظم، والأقرب هو أن عظم علي عبدالله صالح وحليفه السعودي سينكسران.

والحرب بقدر ما شقت المجتمع اليمني وغيرت توجهه، فإنها فضحت النظام اليمني وعجزه، ما دفعه بخبث الى توسعتها إقليمياً ودولياً، ولكن التوسعة قد ترتد عليه وبالاً، فيطالب بالتنحّي لفشله في إدارة المعركة. وبالقدر ذاته، فإن الجيش اليمني نفسه، الذي صار سخرية لشعبه، مرشح للإنشقاق بسبب التدخل السعودي نفسه، والإصطفافات المذهبية التي أفرزها. فالسعودية لم تخض حرباً عسكرية ضد الحوثيين فحسب، بل تخوض ايضاً حرباً مذهبياً مرافقة لها، وحرباً على الصعيد الإقليمي أيضاً، أو هذا ما تريد أن تبشر به. ولذا فالجيش اليمني المهان شعبياً بسبب حروبه الخمس الفاشلة، وفشله في السادسة قبل وبعد دخول السعودية فيها، قد يفرز انقلاباً عسكرياً كما علمتنا الحروب، فالجيوش الخاسرة هي التي تقود الإنقلابات، مثلما حدث في أول انقلاب عسكري عربي (انقلاب حسني الزعيم في سوريا عام ١٩٤٩م بعد حرب النكبة في فلسطين، ومثلما حدث في انقلابي مصر والعراق ١٩٥٢ و ١٩٥٨). الجيوش المهزومة والمهانة من حكامها تمثل خطراً على أنظمة الحكم الفاشلة.

إذن ما هو المخرج الأقل كلفة للجميع؟

الحل في الحل السلمي بوساطة دولة غنية تموّل الإتفاق (قطر او من يناظرها غير السعودية). هذا الحل يحفظ ماء وجه النظامين في صنعاء والرياض، ويعيد ترتيب البيت اليمني ويحل واحدة من المشاكل وتبقى مشكلة الجنوب. لكن هذا الحل لا تريده السعودية ولا علي عبدالله صالح. على الأقل هذا الأخير صرّح بذلك علناً، في حين أن السعودية تلتقط كل دعوات الحوار والصلح الحوثية وتحولها الى قراءة عسكرية تفيد باقتراب انكسارهم، وفي هذه القراءة ضلال وتضليل. فضلاً عن أن السعودية لا تريد أن تمنح قطر أو حتى غيرها مكانة كبيرة.

نعم، ظهرت مقولات غير رسمية حتى الآن تكشف عن حقيقة أن الرياض وصنعاء مقتنعتان بعدم قدرة الحرب على حسم الأمور. ولكن العاصمتين تعتقدان بأن الحوثيين قد نجحوا حتى الآن في تمريغ سمعتهما العسكرية



والسياسية والإعلامية في التراب، وبالتالي لا بدّ من انتصار يعيد هيبة الدولة اليمنية المترنّحة، وهيبة السعودية المتآكلة من أطرافها كافة (لبنان، العراق، أفغانستان، فلسطين والآن اليمن) قبل الشروع في التفاوض. بمعنى آخر، أن الحوثيين لم يطلبوا حتى الآن جزءً من كعكة السلطة، وكل أهدافهم متواضعة للغاية بالقياس الى حجمهم العسكري والشعبي، وهو ما يعلمه مسؤولو صنعاء والرياض، ولكن الأخيرتين تريدان لي ذراع الحوثيين وكسرهم قبل ان تستجيبا لهم بالفتات.

قد تؤدي هذه السياسة، والأكيد انها ستؤدي ان استمرت الحرب، الى عكس ذلك تماماً: مطالب سياسية ضخمة من الحوثيين، مبنية على أساس انكسار عسكري وسياسي للمعتدين.



مجازر الجيش ضد المدنيين

عبدالملك الحوثي يوضّح دور السعودية وملابسات دورها في الحرب

لم نستهدف الأراضي السعودية والأخيرة صنعت الحرب وموّلتها

صالح طلب وساطة قطر ليس حباً في السلام، وإنما لإثارة حفيظة السعودية من أجل استحلاب دعمها!

عمر المالكي

أجرت صحيفة النهار مقابلة مع القائد الميداني للحوثيين عبدالملك الحوثي نشرتها على حلقتين يومي ١٠ و١١ نوفمبر الماضي، تحت عنوان: (عبد الملك الحوثي لـ"النهار": النظامان السعودي واليمني تجاوزا مصالح شعوبهما إلى حسابات أخرى).. وضع فيها النقاط على الحروف، فيما يتعلق بالتدخل العسكري المباشر، والأهداف وراء الحرب من قبل النظامين اليمني والسعودي، وفنّد فيها الكثير من الشائعات التي يروجها الإعلام السعودي وتوابعه ضدهم.

في سؤال حول مبررات الحرب، واتهام السعودية للحوثيين بانتهاك واستهداف أراضيها، ما أدّى الى شنّ حملة عسكرية ضدّهم، قال القائد الحوثي:

(نحن لم ندخل الأراضي السعودية، ما حدث هو أن النظام السعودي دعم النظام اليمني في هذه الحرب عسكرياً ومادياً وسياسياً وإعلامياً، وفتح أراضيه للجيش اليمني للالتفاف علينا عبر مناطق البقع وعلب ورازح وتهامة، وسمح له بالتمركز في جبل الدخان للاعتداء علينا، وقمنا بمواجهته وطردنا الجيش اليمني وأعدنا الجبل على ألا يعود الجيش اليمني إليه. لكنها عادت وسمحت له بالتمركز في الموقع، وطلبنا من حرس الحدود الوفاء بالاتفاقات، وقلنا إما رفع الجيش أو سنضطر لمواجهة العدوان بأنفسنا، ولم يحدث أي تجاوب من حرس الحدود السعودي، واضطررنا الى المواجهة وطردنا الجيش اليمني منه).

وأضاف:

(نحن لم نستهدف الأراضي السعودية بأي حال من الأحوال، ونعتقد أن أي حرب بيننا وبين الأشقاء في المملكة العربية السعودية لن تخدم الشعبين الشقيقين، لكن النظام السعودي اتخذ هذا الموقف ذريعة لشن الحرب علينا، وخلال الأيام الماضية شن هجوماً على مناطقنا، وقصفت الطائرات الحربية العديد من المناطق بالصورايخ والمدفعية. ونحن نرى في هذا عدواناً ظالماً غير مبرر، وانتهاكاً لسيادة البلد، وانتهاكا لحرمة وحق الجوار. ولطالما طالبنا بوقف هذا العدوان، وطالبنا النظام السعودي بالحياد وعدم التدخل السلبي في شؤون البلد، ونصحناه بالتدخل الإيجابي الذي يسهم في وقف الحرب وإحلال السلام والأمن، باعتبار ذلك المصلحة الحقيقية للشعبين المتجاورين لكن دون جدوى، فالسعودية، كما هو الحال في اليمن، تجاوزت مصالح الشعب لحسابات أخرى، ولا نزال نؤكد ضرورة وقف هذا العدوان).

وفي سؤال للنهار حول صدقية الأنباء عن تورّط السعودية في الحرب المباشرة كما عبر دعم الجيش اليمني، قال القائد الحوثي:

(لدينا الأدلة والوثائق والمئات من الشهود العيان في المناطق الحدودية على قيام الطيران السعودي الذي يأتي بشكل واضح للعيان من عمق الأجواء السعودية إلى أجواء الملاحيظ وتهامة في اليمن بالقصف على مناطق آهلة بالسكان وبشكل عشوائي، وحين إكمال عمليات القصف يعود إلى المملكة، وهذا مستمر منذ شهر رمضان الماضي وحتى الآن، وشمل مناطق عدة. وفي الأيام الماضية شن الجيش السعودي هجوماً على الأراضي اليمنية، وقصفت الطائرات الحربية العديد من القرى وسقط في هذا القصف عشرات القتلى والجرحى).

وسألت (النهار) عبدالملك الحوثي حول مزاعم إشعال جماعته ما سمي بالحرب السادسة لتنفيذ أجندة خارجية من جهة، وللحصول على انتصار سياسي أو على نصيب من الكعكة في الحكم من جهة ثانية، فما كان منه إلا أن أكّد على التالي:

(من يقول هذا الكلام لا يمتلك الدليل عليه، ونحن لسنا كذلك ولسنا أغبياء إلى هذا الحدّ حتى نقوم بخوض حروب مكلفة جدًا وباهظة نقدم فيها مئات الشهداء من آبائنا وأبنائنا وإخوتنا وأمهاتنا وأخواتنا ونسائنا، ويتم فيها تدمير مناطقنا وتشريد عشرات الآلاف من أهلنا ونتعرض فيها للإبادة ونقدم فيها آلاف الجرحى والأيتام ونتعرض فيها للحصار وكل أشكال المعاناة ويتم تدمير مزارعنا وأسواقنا ومساجدنا ومدارسنا واستهداف حياتنا بكل أشكالها ولوازمها ومتعلقاتها ومقدساتها، وكل هذا من أجل دولة هناك أو جهة هنا أو من أجل آخرين لهم أجندة سياسية معينة، هذا غير صحيح على الإطلاق وهو دعاية لتبرير زائف للعدوان الظالم علينا. نحن نحارب دفاعاً فقط، بعد أن هاجمتنا السلطة بجيوشها وعتادها الحربي وآلات الهدم إلى بيوتنا، فهل ينبغي أن نترك لهم المجال لقتلنا والقضاء علينا بدم بارد ودون أي كلفة وبدون أي حق؟! هذا مستحيل ولا يمكن ويتنافى مع ثقافة القرآن الكريم وتعاليم نبي الإسلام ويختلف مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، كما أنّا لا نحارب للحصول على الحكم، هذا افتراء من افتراءات السلطة، وأكرر القول نحن نحارب دفاعاً عن النفس، بعد أن اتخذت السلطة قرار الحرب وهاجمتنا بشكل وحشي إلى بيوتنا، ومتى أوقفت عدوانها وقررت إيقاف الحرب فالحرب ستتوقف بالتأكيد كما حدث في خمس حروب في الفترة الماضية).

التدخل الإيراني

وفنّد الحوثي مزاعم صنعاء والسعودية من أن جماعته تتلقّى تسليحاً ودعماً مالياً من جهات إيرانية، وقال:

(لا يوجد لدينا أي أسلحة إيرانية، ما لدينا من سلاح هو حصرياً من: ١/ المواقع العسكرية حين السيطرة على بعضها. ٢/ من البلد، فالشعب اليمني شعب مسلح وهذا شيء معروف ولا يمكن إنكاره. أما ادعاءات السلطة لنا بالعمالة لجهات خارجية، فهذا بهتان، فلسنا عملاء لأحد، ولا دليل لها على ذلك، إلا أن الشيء الواضح الثابت الذي لا يمكن جحوده هو عمالة السلطة لجهات دولية إقليمية وطلبها واستجداؤها للدعم المالي والسياسي والإعلامي من هنا وهناك عَلناً وبوضوح).

وأضاف: (التعاون السعودي مع النظام اليمني واضح ومُعلن، أما التدخل الإيراني فلا نعلم بأي جهة في البلد لها علاقات سياسية وارتباطات بمشاريع إيرانية، والإيرانيون يعاملون النظام اليمني بدلال رغم الجفاء الذي يبديه لهم ويعاملونه برحابة صدر رغم الإساءة ويتحاشون أي شيء يتصورون أنه يضر بالعلاقة معه، هذا هو الحال المعروف والواضح وهو الحقيقة).

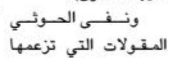
وعن العلاقة مع المؤسسات الدينية في إيران والعراق، قال: (تربطنا بكل أبناء أمتنا أخوة الإنسانية وأخوة الإسلام، ولسنا امتدادا لأي مشاريع سياسية للآخرين، فلنا استقلالنا الواضح الثابت في قراراتنا ومواقفنا. والكثير ممن يتهمونهم بالعلاقة معنا ويتهموننا بالعلاقة معهم لا يمتلكون حتى الجرأة في أن يكون لهم أي موقف مما يحدث علينا من ظلم).

وتابع الحوثي بأن السلطة اليمنية هي التي فتحت المجال للتدخل الخارجي، حيث (سعت لتخويف جهات دولية وإقليمية منّا عبر دعايات كاذبة في معظمها، وحاولت أن تشعر الآخرين أنها تحارب بالوكالة عنهم، وذلك لهدف كسب تأييدهم وعونهم، ووافق ذلك رغبات أكيدة وأطماعاً حقيقية، بل مشاريع قيد التنفيذ لتلك الجهات لفرض نفوذها وهيمنتها على البلد كما هو الحال بالنسبة الى أميركا والسعودية وإسرائيل).. وهي الأطراف التي يتهمها الحوثيون بأنهم وراء قرار إشعال الحرب السادسة الحكومية ضدّهم.

هل هي حرب مذهبية وهابية/ زيدية؟

وسألت النهار عن هوية الحرب، بالنظر الى التدخل والحضور الوهابي والسلفي في صعدة والتي تعد كرسي الزيدية، فأجاب عبدالملك الحوثي: (الحرب في الأساس ليست مذهبية، لكن السلطة وظفت المذهبية فيها، وأثارت النعرات الطائفية للاستفادة منها وهي تستمر على هذا المنوال وبوضوح تبرر أحيانا الحرب علينا بتهمة أننا اثنا عشرية، وكأن الانتماء إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام جريمة يعاقب عليها القانون).




لا أفق لحسم الحرب عسكرياً

ونفى الحوثي المقولات التي تزعمها صنعاء بأن الحوثيين يقودون تمرداً زيدياً يرفض النظام الجمهوري، وأنه يسعى لإحياء حكم الإمامة الذي انتهى عام ١٩٦٢م، وقال: (مشروعنا الثقافي الذي نتحرك على أساسه واضح وليس سرياً، وهو ينادي بضرورة العودة إلى ثقافة القرآن الكريم وتصحيح الوضع السيئ القائم لدى الأمة على هذا الأساس باعتبار أن منشأ الخلل ثقافي والتصحيح الثقافي الذي يجعل القرآن الكريم فوق كل ثقافة هو الذي يبني الأمة من جديد ويصلح الخلل الموجود. نشاطنا وحركتنا في مشروعنا الثقافي سلمي، لا نفرض مشروعنا على أحد بقوة السلاح ولا نستخدم لغة التفسيق ولا التكفير).

وأضاف:

(لأن السلطة تواجه حرجا شديدا في إيضاح السبب الحقيقي لمواجهتنا واعتدائها علينا، فهي تختلق مبررات أخرى، منها مسألة أننا فقط نسعى الى اعادة نظام الإمامة ونظرية الحصر في البطنين وهي - أي السلطة - عملياً تطبق نظرية الحصر في البطن الواحد وفي دائرة ضيقة للغاية، ونحن أوضحنا مرارا وتكرارا أن ما نسعى اليه ليس مسألة نظام الإمامة، لدينا مشروع ثقافي شامل على ضوء القرآن الكريم ننادي به ونقدمه ضمن دروس ومحاضرات مع خطوات عملية سلمية منها شعار "الله أكبر – الموت لأميركا – الموت لإسرائيل – اللعنة على اليهود – النصر للإسلام" والدعوة إلى مقاطعة البضائع الأميركية والإسرائيلية والتوعية النشطة في مواجهة التضليل الإعلامي والتسميم الثقافي والمسخ الأخلاقي والفساد الاقتصادي الذي يشنه أعداء الأمة عليها. هذه هي الحقيقة).

جذور الحرب السادسة

إضافة الى التحريض الخارجي، السعودي منه بالذات، رأى عبدالملك الحوثي بأن حرب الشاويش في صنعاء لم تكن مفاجئة له، وقال بأن السلطة

ومنذ توقف الحرب الخامسة (لم تثبت جديتها في إغلاق الملف سلميا) وقال أنها لم تعتمد

(لغة الحوار والحلول السلمية العادلة التي تضمن عدم تجدد الحرب، بل كانت طوال الفترة الماضية تنشط في اتجاهين: الأول: تكثيف عمليات الاغتيالات والاعتداء على مناطق آهلة بالسكان مثل مران وجمعة بن فاضل ورازح وغمر وغيرها، وبإصرار منها حتى لا يستقر الوضع نهائياً ولفترة محددة يسودها الاضطراب والفوضى وانعدام الأمن، ولا تحمل اسم حرب رسمية، حتى يأتي الظرف الذي تراه السلطة ملائماً لشن حرب رسمية وعدوان شامل. والاتجاه الثاني: الاستعداد والترتيب لحرب سادسة كبيرة، وكان هذا يحتاج إلى وقت حتى تكون الاستعدادات من توفير كميات السلاح وتدريب آلاف المجندين الجدد وتهيئة المناخ المناسب سياسياً قد اكتملت، وحينها يبدأ العدوان السادس وهذا ما حدث بالفعل).

اتفاق الدوحة

وأجاب القائد عبدالملك الحوثي على اتهام صنعاء للحوثيين بخرق اتفاق السلام الموقع في الدوحة والتسبب باشعال الحرب، بأن الذي حدث: (على العكس من ذلك. السلطة هي التي ماطلت في تنفيذ بنود الاتفاقية، فلم تفرج عن السجناء، ولم تسحب الجيش آنذاك من المزارع والقرى والأسواق والمناطق السكنية، ولم تفتح ملف المفقودين، ولم تعالج الجرحى، ولم تعمل شيئاً، ثم في نهاية المطاف قبيل الحرب السادسة أعلن الرئيس بنفسه رفض اتفاقية الدوحة، واختلق مبرراً زائفاً، وحجة داحضة: أنها جعلت منّا ندّاً وقد نقلت تصريحاته هذه في صحيفة "الحياة").

ونفى الحوثي أن يكون سبب فشل الإتفاق رفض جماعته الانسحاب من المواقع وتسليم الأسلحة، ورآه قولاً (غير دقيق، ولا يتفق مع الواقع، فالسلطة تسلمت جميع المديريات بعد الحرب الرابعة وانسحبنا من المواقع، ولكنها باشرت الحرب الخامسة فتم طردها نتيجة

لعدوانها ونتيجة طبيعية للحرب، وعادت بعد الخامسة إلى جميع المديريات، وقد أعلنا موقفنا مرات متعددة أن السلطة إذا أوقفت الحرب فلا مانع عندنا من تسليم المديريات إلى السلطة المحلية).

وحول أسباب إخفاق الوساطة المحلية والقطرية لإحلال السلام، قال عبدالملك الحوثي أن السبب هو أن

(السلطة لم ترد الحل، وقد طالبت السلطة بتدخل قطر وسيطاً لهدف واحد ليس هو الحل، وإنما لإثارة حفيظة السعودية ثم الدخول مع السعودية في صفقة وحينها يتم الاستغناء عن قطر، بل الإساءة إليها، وهذا ما اعتادت السلطة فعله كلما حدث بعض الفتور في العلاقة مع المملكة أو خفضت السعودية الموازنة المالية التي تمنحها للسلطة، حينها يتم استدعاء مسؤول إيراني أو إيفاد مسؤول إلى إيران أو قطر أو ليبيا كل ذلك للتلويح للسعودية بأن تبذل المزيد وتقدم المزيد حتى لا يأتي منافس آخر غير مرغوب فيه لديها في لعبة سياسية غير مشرفة لاستغلال التعقيدات في علاقات الدول في المنطقة، وهذا أيضا يسهم ضمن أمور أخرى في تدهور العلاقات السياسية بين دول المنطقة وهو أسلوب خاطئ يضر بالمنطقة ويزيد من حال الفرقة).

وأبدى الحوثي استعداده للحوار من أي جهة وطنية كانت، أو عربية، وقال: (نحن نحارب ضرورة وليس خيارا وذلك لمواجهة العدوان الظالم الشامل الذي تمارسه السلطة علينا، وطالما استمر العدوان سنواصل التصدي له مستعينين بالله ومستمدين النصر منه. وفي أي وقت ترغب السلطة في وقف الحرب لن نمانع من جانبنا فموقفنا هو للدفاع وهذا حق شرعي مقدس ولا شرعية للعدوان).

واتهم الحوثي حكومة صنعاء بمواصلة الحرب وأنها هي من قام بتدمير (مئات المنازل وجعل الكثير من السكان لا مأوى لهم، بآلات الهدم والدمار التي بيدها من طائرات ودبابات وغيرها) مؤكداً أنه عندما بدأ العدوان وتقاطرت الحشود الى مناطق صعدة للتدمير والإبادة واعتماد سياسة الأرض المحروقة، قام الحوثيون بقطع الطرق من أجل قطع الإمدادات عن قوات السلطة وإضعافها موقفها.

استحالة حسم الحرب عسكرياً

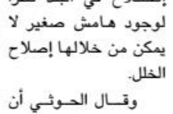
وحول تقويمه للوضع الميداني، قال بأنه يثبت أن الحسم العسكري وهم وسراب وفي قائمة المستحيلات. فالسلطة منذ بدأت الحرب السادسة خسرت أكثر من مئة موقع عسكري، وتكبدت الخسائر الكبيرة في الأفراد والعتاد، ولذلك ينبغي عليها أن تستوعب الدرس وأن تعود إلى لغة الحوار والتفاهم كأسلوب حضاري ناجح وحكيم وهو لمصلحة البلد.

وأكد الحوثي بأن هناك نافذين في السلطة لهم ارتباطات أجنبية، مشيراً الى السعودية، يحققون مكاسب شخصية وسياسية ومادية من خلال بقاء الحرب مفتوحة، واتهمهم بأنهم أشعلوا الحرب، وأن من يعارضها من داخل السلطة ويرغب في الحلول السلمية ويؤثر مصلحة البلد، يقومون بتهميشه وتهديده ووضعه في دائرة الاتهام.

وحول ما إذا كانت هناك تحفظات لدى الحوثيين على (النظام الجمهوري) قال: (لم ندخل في حرب مع السلطة من أجل تحفظات معينة، حاربنا دفاعاً عن النفس فقط، أما الحال الذي عليه السلطة من ظلم وفساد وانحلال للقيم وعمالة للخارج، فليس محلّ رضا عندنا وعند معظم اليمنيين) مؤكداً عدم وجود ديمقراطية حقيقية في اليمن، بل الموجود أزمة سياسية تتمثل في ممارسة السلطة التضييق والخنق للمناخ السياسي ولذلك تمارس الاختطاف والاعتقال بحق الناشطين السياسيين وتحاكم الصحافة وتخوّن الأحزاب، التي يستحيل عليها تحقيق إصلاح في البلد نظراً لوجود هامش صغير لا يمكن من خلالها إصلاح الخلل.



حرب سعودية بالوكالة أولاً ثم بالمباشرة



وقال الحوثي أن مشروع جماعته سلمي، يعتمد ثقافة القرآن وتعاليمه، وأضاف: (القرآن الكريم ليس مشروعا لحزب ولا فكرة لفئة ولا رؤية لجماعة، وإنما هو هدى الله للعالمين ولهذا يستحيل تأطيره في مشروع حزبي). وأضاف: (لكننا وإن لم نؤسس حزباً سياسياً ننشط ثقافياً بطريقة سلمية بعيدا من الإكراه، وبعيدا من التكفير والتفسيق، وإذا اعتدى علينا أحد بالسلاح واجهناه بالسلاح، لأن هذا جزء من ثقافة القرآن الكريم الذي قال الله فيه: "فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ" والذي قال الله فيه: "وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ" صدق الله العظيم. نحن لا نعتدي ولا نبدأ الحرب لكننا لن نسمح لأحد بالعدوان علينا ومن يبتدئنا بالحرب والعدوان واجهنا عدوانه متوكلين على الله ومستعينين بالله والله خير الناصرين وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا).

وأخيراً سألت النهار عن مطالب الحوثيين التي يمكن أن تتضمنها صفقة صلح وسلام مع النظام فقال: (مطالبنا واضحة ولم نحارب لتحقيقها وهي تتعلق بحرية الفكر والتعبير والكرامة الإنسانية ومعالجة آثار الحرب وملفاتها من معتقلين ومفقودين وإعمار، مع إيقاف

كل أساليب الاستهداف، التي تمارسها السلطة بحقنا وتحقيق العدالة والمواطنة المتساوية بعيدا من التمييز العنصري والمذهبي والاجتماعي).

إلماعات على مملكة خاوية

عبد الوهاب فقي

مهما سيقال، فإن تجربة الأربع سنوات الماضية من عهد الملك عبد الله تجعلنا نثبّت الحقيقة التي كانت حتى وقت قريب مكتومة لأجل غير مسمى، بانتظار ما ستسفر عنه وعود الملك الإصلاحي زعماً، بأن الاصلاحات لم تكن في يوم ما أولوية في أجندة النظام، فهي، أي الإصلاحات، تأتي دائماً كرد فعل على ضغوطات داخلية أو توّترات إقليمية. في ظروف التحوّل الإنتقالي للدولة السعودية في النصف الأول من القرن الماضي، كانت هناك تجارب يمكن وصفها بأنها (إصلاحية) من حيث الشكل لا المضمون، مثل إقامة مجلس شورى في الحجاز، ولكن مالبثت التجربة أن ماتت بسكتة سياسية وطوي موضوع (الشورى) على وجه السرعة مع استكمال الملك عبد العزيز تدابير إحكام السيطرة على الحجاز بصورة كاملة.

ثلاثون عاماً من الوعود بالإصلاح لم تسفر سوى عن خيبة وخواء، قدّمه النقيض مع كل ماهو صلاح وإصلاح ممثلاً في الملك فهد في مارس ١٩٩٢. جاء بثالوث من الأنظمة (الاساسي، الشورى، المناطق)، بعد أن خاض جولات مكثّفة لتقديم صياغة بحد الشفرة، وكما يقول أشقاؤنا المصريون (ماتخرّش الميّه)، لتخرج مفصّلة بمقاييس دقيقة على جسد الملك والعائلة المالكة، وكأن الثلاثين عاماً من النضال السلمي والحراك الشعبي تستهدف المطالبة بترسيخ أسس الاستبداد، وصون حقوق العائلة المالكة، وضمان حريتها في أن تحكم العباد والبلاد حتى القبر.

* * *

في عهده الميمون المصحوب بموجات عالية من الآمال، طمعاً في ولادة تاريخ جديد لهذا الكيان المعتوه، غمرت الوعود الناس حتى غرقوا فيها، وتسللت دابة الأرض إلى عكّازة الأمل، ولم يقع صاحبها ولكنه اختفى فجأة من المشهد. فمنذ أصبح ملكاً في العام ٢٠٠٥ قرر الإصلاحي العابر للأزمنة والأمكنة التحرر من دعوته الاصلاحية، وعاد ليرتدي حلّة التفرّد العائلي بالسلطة، وبدا مهجوساً بإعادة بناء صورة المملكة عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر. فأبدع، من غير ملكة إبداع أصيلة، مبادرات مثل مشروع السلام الذي قدّمه في القمة العربية في بيروت العام ٢٠٠٢، وأعقبها بسلسلة مبادرات حوارية بدأت بالحوار بين علماء المسلمين، وانتقل الى الحوار بين الاديان في مدريد ونيويورك العامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨.

على المستوى المحلي، ودون النظر في الحملة الدعائية التي قادتها الامبراطورية الاعلامية السعودية ووسائل إعلامية غربية تتغذى على المال النفطي، فإن آمال الناس تبدّدت في الاصلاحات التي تأتي على يد الملك منذ مارس ٢٠٠٤.

* * *

سؤال كبير يصغر ويتلاشى في آخر النهار: بماذا تميّز عهد الملك عبد الله عن غيره؟

أول ما يلفت الانتباه أن ثمة ضجيجاً واسعاً رافق هذا العهد، وسمع الناس جعجعة ولم يرو طحناً، فقد سئموا من وعود فارغة، حتى سئم مطلقها منها فتخلى عنها، وترك لـ(كتّاب العملة) مهمة التطبيل والتزمير لها بحسب الموجة، فما يرفضه الملك يكون مرفوضاً بالنسبة لهم، ومايقبله يحظى بقبولهم، فهم رهن إيماءة الملك وعلية القوم في العائلة المالكة..

لم يتغيّر شيء في هذا البلد، لأن إرادة التغيير مفقودة في مكان ما..

الأنكى من ذلك كله، حين يتشوّه معنى التغيير، ويصبح تبدّل الاشكال تغييراً..

ملك يملك كل شيء الا التغيير، رغم أنه يتقن رطانة التغيير بغير لغة..

يثير الإعجاب حقاً، مشفوعاً بجرعة حماقة مختمرة، أولئك الذين يتحدّثون عن حكمة الملك، ونزعته الإصلاحية والتقدّمية، وربما الحداثوية، حين تتصعّد حمى الدفاع الغرائزي، المصحوب بمصلحة شخصية..

ليس أسهل من أن يصنع من الديكتاتور ديمقراطياً في شرقنا البائس، ولكن من الصعوبة إقناعه بأنه قادر على لعب دور من هذا القبيل..

* * *

ما لم يحدث تغيير جوهري في الأيديولوجية المشرعنة للدولة السعودية، وهي أيديولوجية قائمة على المذهب الوهابي وكذلك مزعم الحق التاريخي للعائلة المالكة بحكم البلاد، فلا إصلاحات جوهرية متوقّعة.

وقبل الحديث عن الإصلاحات لا بد أن نثبت وجود إصلاحيين داخل العائلة المالكة..

فقد تم تصوّير الملك عبد الله على أنه رائد الإصلاحات في المملكة. وعلى أية حال، حين نتأمل عن قرب في الإنجازات المزعومة التي حققها الملك عبد الله في مجال الإصلاح، سنخرج بلا شيء حقيقي يمكن تصنيفه على أنه إصلاح.

فالمرأة لا تزال غير مسموح لها بقيادة سيارة، ولا السفر بدون محرم ذكر من الأقارب، ولا أن تكون عضواً في مجلس الشورى المعيّن، أو حتى في المجلس البلدي نصف المشلول وظيفياً، والكسيح إنتخابياً. وليس لها الحق في أن تكون قاضية، فضلاً عن أن تكون وزيراً..

وحتى الآن، ليس هناك حرية صحافة، ولا منظمات مجتمع مدني مستقلة، ولا حرية تجمعات، ولا أحزاب سياسية..



مملكة العاطلين!

وحتى الآن، ليست هناك انتخابات مستقلة وكاملة ونزيهة لأعضاء مجلس الشورى، وحتى إنتخاب نصف أعضاء المجالس البلدية قد تم تأجيلها لمدة عامين، في ظل أنباء عن إلغائها بصورة كاملة..

وحتى الآن، فإن أوضاع حقوق الإنسان في المملكة هي الأسوأ على مستوى العالم، وليس هناك نيّة بالسماح لمنظمات حقوقية أهلية بالعمل بصورة رسمية..

* * *

حين تتبخّر الآمال في بزوغ فجر الإصلاح، يصبح اليأس أول مولود على غير الفطرة، وحين يتكاثر أعداد اليائسين تتآكل هيبة الدولة، والثقة في رجالها، والالتزام بقوانينها، فلا يرى الناس فيها سوى كيان وهمي، يسهل خرقه، ويستهان بوجوده، وإن حشد من (كتّاب العملة) أضعاف من سبقهم في زمن كانت فيه الدولة قوية ومهيبة، فالهيبة لا تُصنَع بالأوهام والأعمال الزائفة، بل بالمواقف النبيلة للطبقة الحاكمة، شأن الولاء الذي لا يخضع للمساومة الهابطة، وليس بالبضاعة التي تشترى مقابل ثمن، مالم يكن مصمماً لخدمة أغراض عابرة..فهل رضخت العائلة المالكة لمنطق قديم إستخدمه عبد العزيز عن الدولة التركية حين وصفها بـ (الدولة الراحلة)، فقبلت بالمصير الحتمي لملكها العقيم؟

* * *

ليس كل ما ينطق في الدولة وأجهزتها يصدر عن حقيقة، فقد تكون زيادة الأصوات دليلاً على كثرة الزيف..بل قد تخبر عن فوضى في لحظة مخاضها الأول، وقد تتحوّل إلى عملية تذرر غير منضبطة في ظروف أخرى حين يصبح جسد الدولة مساحة سائبة لكل من تطالها ذارعه.. هل استهدى أحدكم على جذر الإرادة القتالية المعدومة لدى الجندي في الجيش السعودي؟ هل من أحد يخبرنا عن عجز الضجيج الوطني الفارغ في صنع اصطفاف حتى وإن كان شكلياً خلف الحكومة حال الأزمــات المحدقة بها؟ ولماذا يصبح اللاوعي لدى غالبية الأفراد مرشداً ناشطاً على لاجدوائية التضحية من أجل شيء يرتبط بالعائلة المالكة؟

* * *

الفوضى سمة عامة في الدولة السعودية، وفسادها معلم رئيس على خوائها، ولا يمكن تخصيب أنوية الولاء في بيئة فاسدة..ومن بؤس الطبقة الحاكمة أن تعطب مؤسسات التوجيه الأيديولوجي، المسؤولة عن صنع وعي وطني أو حتى ثقافي لتحصين الدولة من التفكك..حين يصبح الرأسمال الرمزي للدولة ملوّثاً بالفساد، لا يعود هناك قيمة يمكن الدفاع عنها، ولا فرق حينئذ بـين مـسـؤول في الـدولـة، أو رجل ديـن، أو كاتب في صحيفة رسمية، أو حتى حارس على بوابة مؤسسة حكومية..إن التفسير المباشر للمواقف هذه هو أن الفساد العام لا يدع بريئاً، ولذلك لا ينظر الناس بعين فارزة بين الفساد والنزاهة حين يكسو الفساد جسد الدولـة. ولأن الفوضى بنت شرعية للفساد، فـإن الناس تعبّر بقدر ما يسمح به الظرف القائم عن رد فعلها على الفساد باعتماد الفوضى، الذي يأخذ شكل مشاغبات فردية وجماعية عبر تحطيم زجـاج المحلات أو لوحات الإعلانات التجارية، والكتابة على الجـدران وتخريب اللوائح الارشادية في الشوارع، وتكسير الأبواب، وخـرق قوانين المـرور، والتلاعب في العقود، وتقديم الرشى لموظفي المؤسسات الحكومية ذات الصلة بالمصالح العامة مثل البلديات، والجوازات، والعمالة الوافدة، والمحاكم الشرعية والتجارية.. وعلى مستوى المؤسسات الحكومية الـكبرى، ثمة أشكـال فساد متشعّبة تتنزّل أصداؤها إلى المستويات الدنيا فتحدث ارتدادات أفقية واسعة على أداء الموظفين الصغار الذين يقتفون أثـر الكبار في فسادهم..هل سيكون للجنة النزاهة أو مكافحة الفساد دور يذكر حين يصبح الفساد قانوناً وطنياً؟

* * *

مـازال السؤال الحائر يطرح مرة بعد أخرى عن مصير المداخيل الفلكية من بيع النفط، ولماذا لم تنعكس رفاهاً، وازدهـاراً اقتصادياً، وتحسّناً في الأوضاع المعيشية، وزوالاً لظواهر الفقر والبطالة؟ ولماذا في عهده الميمون ظهرت قصص لجوء العاطلين عن العمل في الداخل للبحث عن وظائف في دول مجلس التعاون الخليجي حتى صارت مكاتب العمل في الكويت وقطر تستقبل آلالاف من حاملي الملفات الخضر من الشقيقة الكبرى، كما سمعنا في عهده الزاهر عن قصص مواطنات تعمل خادمات في بيوت عائلات قطرية، بل في عهده الذهبي تزايد أعداد مرتادي العيادات النفسية لأسباب اقتصادية.. وهل من يخبرنا عن صندوق الفقراء، ومساكن الفقراء، ومقابر الفقراء؟



بيت مواطن في الجنوب حيث المعارك قائمة الآن!

قيل عنه ملك الإنسانية، فلم يغادر المعدمون خط أنين رسمته سياسات الادقاع بإنسان وطن الفقراء. نداءات الاستغاثة لا تتوقف الى (ملك الإنسانية) هذا، الذي لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم للقيام بمبادرة إعجازية أو عمل خارق لإنقاذ المسحوقين تحت سنابك السياسة الغاشمة..ليته أوقف هدر النعوت بلا طائل، فقد أوقدت الآمال الخاوية حريق الحسرة في قلوب اليائسين من خروج ملك الانسانية الغائب عن صمته ولو للحظة..يبدو أن الصمت تـاج على رأس ملك الإنسانية الذي يحيط نفسه بهالة من قدسية الصمت المهين، وعلى كتائب الدعاية المخزية أن تعجن من صمته صورة البطل الوهمي، الذي يأتي بأوهام النصر..وهنيئاً لملك الأوهام.

* * *

مملكة لا يرجو أحد منها خيراً، وتموت فيها الأحـلام سريعاً.. يشعر فيها الفرد وكأنه بلا كيان، بلا مستقبل، وبلا مصير معلوم..فكل شيء ينذر بمفاجأة غير سارة، وحتى الأمراض باتت شريكاً وطنياً بلا منازع، فانتشار الأمراض الوبائية والنفسية والأورام ليس سوى مرآة لانتشار الفوضى في جسد الدولة. تخلت الأخيرة عن رعاياها في شدائدهم، ومن المؤكد أنهم يتخلون عنها في شدائدها، فسياسة التعامل بالمثل وحدها المتداولة بين الحاكم والمحكوم في بلد لا يعرف فيه المسؤول معنى المسؤولية، ولن يعرف فيه المحكوم معنى الولاء الزائف.


جيش الوهابية التكفيري لكل المسلمين

تكفير الأمراء السعوديين للمجتمعات الإسلامية قاطبة

سيرة التكفير السعودي

عبدالحميد قدس

جرت العادة أن تكون تهمة التشدّد الديني من نصيب علماء الدين في المدرسة الوهابية، وزادها رسوخاً تحميل الأمراء لحلفائهم ـ العلماء التهمة كلما رفعت إليهم شكاوى حول بيانات تكفيرية صادرة عن بعض علماء المؤسسة الدينية الرسمية أو حتى رجال دين محسوبين على المدرسة الوهابية. في المقابل، يسدل ستار سميك على دور أمراء آل سعود في زرع وتشجيع النزعة التكفيرية لدى أتباع المذهب الوهابي. وبسبب كثافة النصوص الدينية المنسوبة لعلماء المذهب، من ثم انفصال الأيديولوجيا عن السياسة، في تقسيم السلطة، بالنسبة للأمراء بعد قيام الدولة السعودية، فيما يتمسّك العلماء بالتواشج المصيري بين العقيدة والسياسة، تراجعت أهمية البحث في دور الأمراء السعوديين في تعميم ثقافة التكفير بوصفها جزءً جوهرياً في مشروعهم السياسي، القائم على الغزو.

وقد كان واضحاً، أن أمراء آل سعود ومنذ بداية التحالف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كانوا يجرّدون الحملات بموجب فتاوى تكفير سكان القرى والمناطق المستهدفة بالغزو ـ الجهاد. بل إن التحالف التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، أمير الدرعية وقتذاك، قام على قاعدة تكفير المجتمعات وإعلان الجهاد ضدها. ونقرأ في فقرة من نصّ الاتفاق: قال الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو في الدرعية: (يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه. وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد..)(١).

فالموقف العقدي لدى الأمير محمد بن سعود من المجتمعات المجاورة كان شديد الوضوح، ما جعله يعاهد على النصرة والإمتثال لأوامر الجهاد. فكان يبعث الرسائل والرسل الى المناطق يطلب من ولاتها وأهلها الدخول في المعتقد الجديد وإلا فإن عليهم انتظار (جيوش التوحيد)، التي باتت

على أهبة الاستعداد لتلقي أوامر بالغزو لنيل المغنم.

إن أول ما يلفت الإنتباه في رسائل الأمراء الى زعماء القبائل، وقادة المناطق والحكومات أنهم لا يفتتحونها بالتحية الإسلامية (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، ما يبطن موقفاً عقدياً كونهم لا يؤمنون بإسلام من يخاطبونهم. على العكس، غالباً ما تكون العبارات موجّهة مثل طلب الهداية (هداه الله لما يحبه ويرضاه) وأشباهها، على خلاف الرسائل التي يبعث بها الأمراء الى أهل دعوتهم التي يصفونهم بـ (المسلمين) ويبدأونهم بالسلام، ويوجّهون لهم نصائح خاصة، بما يشبه (الثقافة الخاصة).

في رسالة عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٧٤٥ـ ١٨١٨) الى أهل فارس وتركيا ثمة ايحاءات رسولية لافتة تبدأ من السطور الأولى كقوله (فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله الا هو، وهو للحمد أهل، ونسأله أن يصلي ويسلم على حبيبه من خلقه..)، ليبدأ الفرز على قاعدة (نحن في مقابل هم) قبل أن يشرع في تقديم شرح لمعتقدات الوهابية (أما الذي نحن عليه، وهو الذي ندعو إليه من خالفنا: أنا نعتقد أن العبادة حق لله على عبيده، وليس لأحد من عبيده في ذلك شيء، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فلا يجوز لأحد أن يدعو غير الله لجلب نفع أو دفع ضر، وإن كان نبياً أو رسولاً أو ملكاً أو ولياً..).

وبعد سرد لمعتقداته في التوسل، والشفاعة، والذبح والتوكل، والنذر يقول (وهذا هو سبب عداوة الناس لنا، وبغضهم إيانا، لما أخلصنا العبادة لله وحده ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها من البدع المضلة، والمنكرات المغوية، فلأجل ذلك رمونا بالعظائم، وحاربونا، ونقلونا عند السلاطين والحكام، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله فنصرنا الله عليهم، وأورثنا أرضهم وديارهم، وأموالهم، وذلك سنة الله وعادته مع المرسلين وأتباعهم الى يوم القيامة).

وفي ردّه على تهمة التكفير ضد الوهابية وحملها الناس عليهم (ونحن لا نكفّر إلا من عرف التوحيد، وسبّه وسماه دين الخوارج، وعرف الشرك وأحبه، وأحب أهله، ودعا إليه وحضّ الناس عليه بعد ما قامت عليه الحجة وإن لم يفعل الشرك أو فعل الشرك وسماه التوسل بالصالحين بعدما عرف أن الله حرمه..)(٢).

وله رسالة أخرى بعث بها الى أهل المخلاف السليماني (جنوب السعودية) يذكر فيها دافعه لكتابة الرسالة (فالموجب لهذه الرسالة أن الشريف أحمد قدم علينا فرأى ما نحن عليه، وتحقق صحة ذلك لديه، فبعد ذلك التمس منا أن نكتب به الاشتباه، لتعرفوا دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه). ما يلفت في رسالته أنه وصم من كان قبلهم بالشرك (فلما منَّ الله علينا بمعرفة ذلك وعرفنا أنه دين الرسل اتبعناه ودعونا الناس إليه، وإلا فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله، من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والتقرّب الى الله بالذبح لهم، وطلب الحاجات منهم، مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور المحرمات وترك الصلوات وترك شعائر الاسلام حتى أظهر الله الحق بعد خفائه، وأحيا أثره بعد عفائه على يد شيخ الاسلام، فهدى الله تعالى به من شاء من الأنام، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له في آخرته المآب، فأبرز لنا ماهو الحق والصواب من كتاب الله المجيد..فحين كشف لنا الأمر وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة.. وعرفنا أن ما نحن عليه، وما كنا ندين به أولاً، أنه الشرك الأكبر..اذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الذي ندين الله به، هو اخلاص العبادة لله وحده، ونفي الشرك، وإقام الصلاة في الجماعة، وغير ذلك من أركان الاسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..)(٣).

رسائل الأمراء الى زعماء القبائل، وقادة المناطق والحكومات لا تبدأ بالسلام، ما يبطن موقفاً عقدياً كونهم لا يؤمنون بإسلام من يخاطبونهم

وبعث الأمير عبد العزيز بن محمد الى سليمان باشا الكبير والي بغداد العثماني رسالة مصحوبة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) وطلب من الوالي أن يجمع علماء بغداد للنظر في الكتاب واعتناق مبادىء الدعوة السلفية. إلا أن جواب الوالي جاء شديداً حين قال:(بعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل مشتملاً على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وثمين وقوي ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً ولا قرأ على أحد ممن يهديه الى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المسقيم)(٤).

ولما وصل الجواب سلبياً الى الأمير عبد العزيز وجّه الحملات العسكرية ضد جنوب العراق. ففي عام ١٢٠٣/١٧٨٨ أرسل قوات بقيادة إبنه سعود الذي فاجأ قبائل المنتفق في مكان يعرف بالروضتين (بين المطلاع وصفوان) فكانت هذه الحملة هي أول حملة سعودية تدخل حدود العراق)(٥).

في سنة ١٧٩٩ حج سعود الى مكة لأول مرة على رأس أربعة آلاف من أتباعه المسلّحين، وتكرر هذا العمل سنة ١٨٠٠. وحتى وقت قريب كان طريق الحج من بغداد والبحرين الى مكة عبر نجد ممنوعاً على الشيعة الذي ينظر اليهم الوهابيون بأنهم كفرة لمعارضتهم السنة(٦).

وفي سنة ١٨٠٠ زحف سعود على رأس عشرين ألف رجل الى الفرات وفي ٢٩ نيسان هاجم كربلاء وأعمل السيف في رقاب كل الذكور من سكانها ونبش قبر الحسين وعاد محمّلاً بالغنائم. ويعلّق ديكسون (وكان نجاح هذا الهجوم، بإسم الاصلاح الديني، على مدينة ضمن خراج السلطان، مبعثاً للرعب والدهشة في جميع أنحاء العالم الاسلامي)(٧).

في عهد سعود بن عبد العزيز (١٧٤٥ـ١٨١٨) نقرأ في رسالته الى الكتخدا علي بك نائب والي بغداد من قبل العثمانيين، بدأها بمجموعة من الآيات القرآنية التي تحذّر من الكفر والشرك والضلال، ويقول (وأمثال هذا في القرآن كثير، كل ذلك في النهي عن الشرك وتقبيحه، وبيان بطلانه، والتبرؤ منه واجب قبل التوحيد..)، ثم أسهب في شرح معنى لا إله الا الله وأحال الى الحديث النبوي المشهور (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)، ثم يوجّه كلاماً شديد اللهجه الى الكتخدا ويقول (أما دعواك أنك على حق فمعاذ الله ووعودك باطلة، ومن أكذب الكذب. وكل من له عقل صحيح يشهد ببطلان قبولك، وافترائك وكذبك..إن قلت إنكم لم تعبدوا غير الله ولم ترضوا بذلك ولم تأمروا به الناس فأفعالكم تبطل أقوالكم ظاهراً وباطناً..)

ويمضي في قدح معتقده قائلاً (وإن قلت أيها المبطل: إن الذي أنتم عليه، هو الذي أمر الله به ورسوله، فقد كذبت وافتريت على الله ورسوله، وكابرت بالكفر والضلال..)، ولم يتردد في تنسيب فرعون وابو جهل له كقوله (وذهبت الى ما ذهب إليه أخوك فرعون (وذهبت إلى ما ذهب إليه أخوك أبو جهل..).

وفي ردّه على مقاتلة المسلمين بدعوى أنهم كفّار قال (فهذا أمر ما نتعذّر عنه، ولم نستخف فيه، ونزيد في ذلك إن شاء الله، ونوصي به أبناءنا، ومن بعدنا، وأبناؤنا يوصون به أبناءهم من بعدهم، كما قال

الصحابي: على الجهاد ما بقينا أبداً.

ونرغم أنوف الكفار ونسقك دماءهم ونغنم أموالهم بحول الله وقوته ونفعل ذلك اتباعاً لا ابتداعاً.

ولا لنا دأب الا الجهاد، ولا لنا مأمل إلا من أموال الكفار.

وأما ما ذكرت: من مسكننا في أوطان مسليمة الكذاب فالأماكن لا تقدس أحداً ولا تكفره، وأحب البقاع الى الله وأشرفها عنده مكة، التي خرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي فيها إخوانك أبو جهل، وأبو لهب، ولم يكونوا مسلمين.

ونحن نرجو الله أن يبدّل ذلك في أوطانكم سريعاً، ونحن نزيل منها الباطل، ونثبت فيها الحق إن شاء الله..

وقولك إنا أخذنا كربلاء، وذبحنا أهلها، وأخذنا أموالها، فالحمد لله رب العالمين، ولا نتعذر من ذلك ونقول (وللكافرين أمثالها).

وما ذكرت من جهة الحرمين الشريفين، الحمد لله على فضله وكرمه، حمداً كثيراً كما ينبغي أن يحمد وعز جلاله، لما كان أهل الحرمين آبين عن الاسلام، وممتنعين عن الانقياد لأمر الله ورسوله، ومقيمين على مثل ما أنت عليه اليوم من الشرك والضلال والفساد، وجب علينا الجهاد بحمد لله فيما يزيل ذلك عن حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم.. فلما ضاق بهم الحال، وقطعنا عليهم السبل، ثم بعد ذلك فاؤوا ورجعوا، وانقادوا الى أمر الله ورسوله، وأذعنوا للإسلام وأقرّوا به، وهدمنا الأوثان، وأثبتنا فيها عبادة الرحمن، وأقمنا فيها الفرائض، ونفينا عنها كل قبيح مما حرم الله..

وأرجو أن تموت على ملتك النصرانية، وتكون من خنازير النار إن شاء الله.. فإن أردت النجاة وسلامة الملك فأنا أدعوك الى الإسلام، كما قال صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم (إسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)(٨).

نقرأ أيضاً في كتاب الأمان الذي قدّمه سعود بن عبد العزيز الى وفد الشريف عبد المعين جاء فيه: من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغاوات وقاضي السلطان:

السلام على من اتبّع الهدى، أما بعد:

فأنتم جيران وسكان حرمه آمنون بأمنه، إنما ندعوكم لدين الله ورسوله: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون). فأنتم في وجه الله، ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز، وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام(٩).

وكما هو ظاهر في نص الكتاب، أن الأمير سعود صنّف أهالي مكة وعلمائها في خانة النصارى، ودعاهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب، بحسب نصّ الآية القرآنية.

وفي رسالة للأمير سعود بن عبد العزيز الى سليمان باشا والي الشام بتاريخ ١٤ ذي القعدة ١٢٢٥هـ (أما بعد..فقد وصل إلينا كتابكم، وفهمنا ما تضمنه خطابكم، وما ذكرتم من أن كتابنا المرسل إلى يوسف باشا، على غير ما أمر الله به ورسوله من الخطاب للمسلمين بمخاطبة الكفار والمشركين، وأن هذا حال الضالين وأسوة الجاهلين..

فنقول في الجواب عن ذلك بأننا متبعون ما أمر الله به رسوله، وعباده المؤمنين، بقوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن).. ومن النصح لهم بيان الحق لهم بتذكير عالمهم، وتعليم جاهلهم، وجهاد مبطلهم، أولاً بالحجة والبيان، وثانياً بالسيف والسنان، حتى يلتزموا دين الله القويم ويسلكوا صراطه المستقيم، ويبعدوا عن مشابهة أصحاب الجحيم وذلك أن من (تشبّه بقوم فهو منهم)..ومن تلبيس إبليس، ومكيدته لكل جاهل خسيس، أن يظن إنما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين لا يتناول من شابههم من هذه الأمة..ومن أنكر وقوع الشرك والكفر في هذه الأمة فقد خرق الإجماع، وسلك طريق الغي والابتداع ولسنا بحمد الله نتبع المتشابه من التنزيل ولا نخالف ما عليه أئمة السنة من التأويل، فإن الآيات التي استددلنا بها على كفر المشرك وقتاله، هي من الآيات المحكمات في بابها لا من المتشابهات..

وأما قولكم: فإنا لله الحمد، على الفطرة الاسلامية، والاعتقادات الصحيحة، ولم نزل بحمده تعالى عليها، عليها نحيا، وعليها نموت..فنقول: غاض الوفاء وفاض الجور وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل، وليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمنى، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، أنا مسلم، أنا من أهل السنة والجماعة، وهو من أعداء الاسلام وأهله، منابذ لهم بقوله وفعله لم يصر بذلك مؤمناً، ولا مسلماً، ولا من أهل السنة والجماعة ظن ويكون كفره مثل اليهود..فشعائر الكفر بالله، والشرك به هي الظاهرة عندكم..وأما إن دمتم على حالكم هذه، ولم تتوبوا من الشرك الذي أنتم عليه، وتلتزموا دين الله، الذي بعث الله به رسوله، وتتركوا الشرك والبدع والمحدثات، لم نزل نقالتكم حتى تراجعوا دين الله القويم، وتسلكوا صراطه المستقيم كما أمرنا الله بذلك..(١٠)

ثمة خطاب خاص يوجّه الأمراء لأنصارهم، المكلّفون بإنجاز المهمة الدينية / السياسية فهم يخصّونهم بتوجيهات عقدية ذات طبيعة محددة

ومن الواضح أن استنكار سليمان باشا يتمحور حول العقل التكفيري لدى سعود، حين طالبه بتغيير طريقة توجيه الخطابات الي الولاة في الدولة العثمانية، الذي جاءت مكاتباته لهم بوصفهم كفاراً وليسوا مسلمين، فأطنب الأمير سعود في شرح خلفية موقفه هذا من وجهة عقدية.

رسائل آل سعود.. تكفير غير الوهابية

على العكس من رسائل الأمراء الى غير الوهابيين، نلحظ في رسائل سعود الى أهل دعوته أسلوباً مختلفاً، حيث يلتزم بمقتضيات التخاطب بين المسلمين. ففي رسالة وعظية له الى عامة المسلمين، في إشارة الى معتنقي الوهابية دون سواهم كما هو فحوى الرسالة وإشاراتها، وهي بمثابة توجيه داخلي للأتباع، يعنوّن الرسالة بقوله (من سعود إلى من يراه من المسلمين..)، ويفتتح رسالته بقوله (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ويقول (والله سبحانه وتعالى منّ علينا بدين الإسلام..). وتدور الرسالة حول تغيّب كثيرين من أتباع المذهب الوهابي عن صلاة الجماعة، وعبّر عن امتعاضه بما يشبه اليأس (والنصائح كثرت، ولا أراها تثمر في كثير من الناس..)،وذكّرهم بأنه بسبب الدين حصلوا على خير الدنيا (وأعطاكم به فوق ما تؤملون، وصرف به عنكم جميع ما تكرهون..). ثم تحدّث عن تدابير جديدة لإلزام أنصاره المشاركة في صلاة الجماعة، بوصفها أحد أشكال الانضباط والطاعة للسلطة. وقال (وأنا ملزم كل أمير، وكل مطوع، وكل صاحب دين، يخاف الله ويرجوه، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، يقوم على الناس في حجميع ما ذكرنا من المسائل التي ذكر، وغيرها من جميع المنكرات، ويقومون على الناس في تعلم دينهم، وأداء

ما فرض الله عليهم..وكل أهل بلد يجعلون عنهم نسخة، فإذا جرى مبايعة فيشرفون عليها مطوع البلاد، ويكتب المطوع على المبايعة.

وأنا آمر هؤلاء الذين معهم الورقة يختارون من كل أهل بلد ثلاثة أهل دين، وأنا ملزمهم بتتبع التجار والفلاح في مسألة المبايعة، ومن فعل شيئاً مما بيننا في هذه الورقة، فيبينون للأمير، فإن كان الأمير ما قام وأدب، وأدبت الفاعل، وهذه أمور وخيمة، وخطرها كبير في الدنيا والآخر، ولا والله ما حملني على هذا إلا المشحة بكم، والخوف من الله عليكم وعليّ..)(١١).

وفي رسالة أخرى الى عامة المسلمين من أتباعه يشدّد فيها على إقامة صلاة الجماعة، وأداء الزكاة باعتبارهما تمظهرين للولاء للسلطة، يقول عن الصلاة (وللصلاة شروط وأركان وواجبات وسنن لا تتم الصلاة على الوجه المشرّع إلا بها، وترون فعل كثير من الناس في الصلاة وعدم المحافظة عليها، وتضييع الجماعة أمر عظيم..) فيما يقول عن الزكاة (وصار أناس كثير، أهل أموال، لا يزكون، ويدّعون أنه ما عندهم شيء، وهم كاذبون، وقد يكون أن الله ينزعه عنهم، ويقال وجبت ويحرمونه في الدنيا..ومن النتاس من يؤدي القليل من الكثير، ومنهم من يجعل زكاته وقاية لماله من النوائب وغيرها) ويلفت سعود الى أهمية الزكاة في توفير الدعم للحملات العسكرية (وترى الممشى (أي الغزو) يبغي من يعتد له بكل آلة، وأعظمها وأهمها الزهبة (أي العدة) وما يحتاج إليه صاحب الحرب من الاستعداد الذي أمر الله به..)(١٢).

في رسالة سعود بن عبد العزيز الى عامة المسلمين، وكل ما جاء بهذا العنوان عني به أتباع المذهب الوهابي دون سواهم، حيث يبدأهم بالسلام والدعاء، قبل أن يشرع بتقديم توجيه داخلي، حين يلحظ التهاون في الالتزام بصلاة الجماعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الزكاة، أو الجهاد (وأنا أخاف عليّ وعليكم خوفاً شديداً من عدم العمل، ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك بعض الأمر خوفاً من أمر يجب عليكم، فتقع به مضرة، وأنتم خابرون، أني ملزم الأمير يقوم على الناس في أمور دينهم، من حيث الجملة من تعلم وتعليم، ويقوم على الناس في قمع من جرى منه شيء يستوجب إن كان الأدب فيه حكم شرعي، أو حد، لزمه الإمضاء وإن كان أدباً غير أدب يعهده على قدر ما يردع أرباب المعاصي..)، وفي الجهاد يقول (والقومة في الجهاد من إتمام السلع والسلاح الطيب، والرجال الطيبين، والقومة على الخيل وتمام آلاتها.

وكذلك الجهاد الداخلي، من رهن الزهبة، والبناء على البلدان وغير ذلك، وأنتم خابرون أني ملزم كل من يخاف الله ويرجوه القومة مع الأمير بهذا كله(١٣).

ونلحظ هنا تأكيده الدائم على العناصر المرتبطة بالبنية التنظيمية للحركة الوهابية وبمشروعها السياسي، مثل صلاة الجماعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والزكاة والجهاد، ولا يخفى ما تحمله هذه الفرائض من مضامين سياسية ذات طابع جمعي.

وفي رسالته الى عموم المسلمين (من أهل دعوته) يوصيهم بالالتزام بحضور الصلاة في الجوامع، ويطالبهم بالاقلاع عن الذنوب والاستغفار منها. وفي خاتمة الرسالة كتب (وكل إمام مسجد يقرأ الكتاب على جماعته ويكتب صدقتهم وورقة المسجد يعطاها إمام المسجد..)(١٤).

وفي رسالة سعود بن عبد العزيز الى أهل الدرعية جاء (من سعود من عبد العزيز إلى الأخوان من أهل الدرعية سلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، يذكّرهم فيها بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول (ولا يستقيم دين ويعبد الله على مراده إلا بالجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ويذكّرهم (وأنتم اليوم أسقطتم عن أنفسكم هذه الفريضة، بسبب المداهنة وطلب رضا وجوه الخلق، وعدم الإيمان بالجزاء، والذي له دين ويؤمن بالله واليوم الآخر..

ثم يقول: (والذي أحاذر عليكم اليوم، معصيتكم الله في عدم إنكار المنكر، وعدم الغضب لله، وعلى طول هذه المدة ما بلغني من خاص أو عام، قام لله أو أنكر منكراً، أو رفع لي خبر بخلاف أحد، ولا دريتم أنكم خنتم العهد الذي أخذ منكم..فيكون عندكم معلوماً أن الله موجب على كل مؤمن بالله واليوم الآخر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يناظر وجه خاص ولا عام، والأمر الذي تحبون رفعه إلي، وأدبه يصدر مني، ارفعوه إليّ، وقوموا بهذه الفريضة، وأدوها على الوجه المرضي، وأنا أبغي أتتبع كل من يتهم بالدين والذين ما يتبين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دقائق الأمور وجلائلها، أنا أؤدبه على الخيانة بالعهد، وإسقاط هذه الفريضة..وأنا خاص على الناس ومعيّن عليهم، وأنا ملزم على كل من له دين العمل بما ذكرت، والذي يقول ما هو من حسبة أهل الدين، ولا له نصيب من الخير، نعرف ممشاه (أي سلوكه) بسكوته، وعدم الإنكار، ولنا فيه رأي، يدبرنا الله عليه إن شاء الله تعالى).

ووجّه لهم نقداً لاذعاً لأنهم لم يقوموا بالدعوة الى العقيدة السلفية وقال (بلادكم يأتيها أفقية (من يجوبون الآفاق) من كل مكان وجهة، ويروح أكثرهم ما نعرف أن أحداً واجههم، يدعوهم للإسلام ويبين لهم التوحيد من الشرك، ويبين لهم الكفر من الاسلام..)(١٥).

رسائل أمراء الدولة السعودية الأولى والثانية الى ولاة وسكّان بلاد الشام والعراق وتركيا وشمال أفريقيا، تحمل دعوة واحدة: الدخول في الوهابية أو السيف

تلمح الرسائل السابقة الى أن ثمة خطاباً خاصاً موجّه لجماعة خاصة، هي المكلّفة بإنجاز المهمة الدينية والقاعدة الشعبية التي يتوقف عليها نجاح المشروع السياسي، ولذلك فهو يخصّها بتوجيهات عقدية ذات طبيعة محددة. في المقابل، تفشي رسائل أخرى حقيقة الموقف العقدي من المجتمعات المستهدّفة بها. فحين بعث الأمير سعود برسالة إلى أهل المدينة كافة خاطبهم بقول (سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوكم بدعوة الإسلام، كما قال تعالى:(إن الدين عند الله الإسلام)، (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة مّن الخاسرين). وأنتم خابرون من أحوالكم عندنا أننا نودكم لأجل مجاورتكم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نريد بأمر يضركم، ويضيق عليكم، وهؤلاء أهالي بيت الله وحرمه، ويوم انقادوا إلينا ما (شافوا) منا إلا الإكرام، ونحن قادمون عليكم لزيارة حرم الرسول، فإن أجبتم إلى الإسلام، فإنكم بأمان الله، ووجهي وذمتي على جميع التعدي لا على دم ومال(١٦). هل ثمة ماهو أشد وضوحاً في رؤية سعود العقدية إزاء أهالي المدينة الذي يخاطبهم بدعوة الاسلام (فإن أجبتم الى الاسلام، فإنكم بأمان الله).

وعلى المنوال نفسه، تأتي رسالته الى أهل نجران عرض فيها ما هو عليه من معتقد ثم قال (هذا صفة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرناه، فهو أخونا المسلم، حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه، حتى يدين بما ذكرناه)(١٧).

ينسحب الأمر أيضاً على المجتمعات المسلمة في الخارج، ففي رسالة سعود بن عبد العزيز الى يوسف باشا والي الشام جاء فيها (أما بعد، فإني

أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، كما قال النبي (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين)..فإن هداك الله فخير يهيأ لك، وتفوز بسعادة الدنيا والآخرة، ولا نلزمكم إلا ما أوجب الله عليكم، وشهدتم أنه الحق ولا ننهاكم إلا عما حرّم الله عليكم وشهدتم أنه الباطل، فإن أشكل عليكم الأمر وطلبتم المناظرة جاءكم منا مطاوعة، وناظرناكم، وإلا تقبلون علينا مطاوعتكم، والمناظرة عندنا، فإن أبيتم إلا الكفر بالله، واخترتم الضلال على الهدى، نقول كما قال جل جلاله (وإن تولّوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)(١٨).

وهناك رسائل أخرى بعث بها أمراء الدولة السعودية الأولى والثانية الى ولاة وسكّان بلاد الشام والعراق وتركيا وشمال أفريقيا، وتتفق جميعها على دعوة واحدة إما القبول طائعين بالمذهب الوهابي أو السيف.

لم يخب الملك عبد العزيز، مؤسس الدولة السعودية الثالثة، عن إعادة إحياء إرث التكفير، الذي نظر إليه كمحرّض فعال لأنصاره على الغزو وجني الغنائم. وبالرغم من أنه نأى في بداية حركته عن التوسّل بالعامل الديني، ولكنه حين أراد استيعاب جيش الاخوان العقائدي أوحى لهم بأنه إمام لهم، ومرشدهم الديني فأطاعوه. واقتفى سيرة آبائه وأجداده في مراسلة الولاة والعلماء ووجهاء المناطق يخيّرهم بين الإنضواء في الدعوة الوهابية أو القتل.

في رسالة بعث بها عبد العزيز الى الشيخين أبو اليسار الدمشقي، وناصر الدين الحجازي، في تعليقه على ردّهما على عبد القادر الاسكندراني، حملت ـ الرسالة ـ عبارات رسولية، تنطوي على رؤية عقدية من المجتمعات القائمة في زمن عبد العزيز نفسه، حيث وصف الجماعة السلفية بأنها (تذب عن دين المرسلين، وتحمي حماه عن زيغ الزائغين، وشبه المارقين والملحدين)، ثم يأخذ التوصيف منحى أكثر تخصيصاً (ولم يوجد في أزمان متطاولة، من ينهى عن ذلك، ويحذر عنها، خارجياً، قد أتى بمذهب لا يعرف، لأنهم لا يعرفون إلا ما ألفته طباعهم، وسكنت إليه قلوبهم، وما وجدوا عليه أسلافهم، وآباءهم، من الكفر، والشرك، والبدع والمنكرات الفظيعة..). وختم الرسالة بقوله (ومن حسن توفيق الله لكم: أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق، وحجة على الخلق، فاشكروه على ذلك، واعلموا: أن من أقامه الله هذا المقام، لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقتهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة الى الله..) ثم قدّم لهم هدية عبارة عن كتاب (الهدية السنية) للشيخ سليمان بن سمحان، وقال عن الكتاب بأنه (بيان ما نحن ومشائخنا عليه، من الطريقة المحمدية، والعقيدة السلفية، ليتبين لكم: حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون..)(١٩)

ودوّن جون فيلبي حواراً أجراه مع الملك عبد العزيز في صيف ١٩١٨ حول موقفه الديني من النصارى وسكّان الحجاز. سأله فيلبي عن موقفه من النصارى. فردّ عليه (إذا قدّمت أنت الإنجليزي إبنتك لي كزوجة، سأتزوجها..ولكني لا أتزوج إبنة الشريف، ولا بنات أهل مكّة ولا غيرهم من المسلمين الذين نعتبرهم مشركين..)(٢٠)

تؤكّد هذا الموقف رسائل عبد العزيز الى أهل الحجاز بعد احتلاله لمناطقهم، حيث يصفه بـ (الفتح) بما تحمل من دلالة تاريخية ودينية. ففي بلاغ عام بعثه عبد العزيز الى أهل الحجاز جاء فيه (وأهنئكم وأهنىء نفسي بما منّ الله علينا وعليكم من هذا الفتح، الذي أزال الله به الشر..)، وقال أيضاً (ولما منّ الله بما منّ، من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه..)(٢١). وفي بلاغ عام آخر من عبد العزيز في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ٧ يناير ١٩٢٦ جاء فيه:(ولقد بذلت النفس والنفيس في سبيل تطهير هذه الديار المقدّسة إلى أن يسّر الله الكريم بفضله فتح البلاد..)(٢٢).

نقل أمين الريحاني حواراً دار بينه وبين عبد العزيز بن سعود، ومن بين ما سأله: هل ترون أن من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد؟

فأجاب ـ أي عبد العزيز ـ على الفور: لا، لا. وضرب الأرض ضربتين بعصاه ثم قال: هذا الحسا، عندنا هناك أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الشيعة وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم أحد. ثم أعاد الريحاني طرح السؤال بصيغة أخرى: هل ترون من الواجب الديني..وهل ترون من الواجب السياسي أن تحاربوا المشركين حتى يدينوا؟ فأجابني قائلاً: السياسة غير الدين، ولكننا أهل نجد لا نبغى شيئاً لا يحلله الدين. فإذا حلل الدين ما نبغيه فالسياسة التي نتخذها لتحقيقه محللة. وإذا عجزت السياسة فالحرب، وكل شيء في الحرب يجوز(٢٣).

وينقل ديكسون تفاصيل سجال افتراضي دار بين قادة الاخوان، سلطان بن بجاد وفيصل الدويش، مع ابن سعود بعد قراره وقف الجهاد ومن ذلك:

ياعبد العزيز، أنت كإمام كنت تدعو الى الجهاد ضد الكفار والمشركين. ولطالما دعوت وكررت الدعوة الى أن العراق كدولة شيعية يجب أن يدمّر، وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال. ولطالما ردّدت قول القرآن الكريم لإثبات أن كل الأعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفّار والمشركين يجب أن يكافأوا عليها. والآن، وبأمر من الانكليز الكفار أنفسهم، تدعونا نحن فرسانك المختارين سيف الاسلام، إلى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ. فإما أن تكون أنت دجال منافق تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك، وإما أن يكون القرآن كتاباً غير صحيح(٢٤).

لم يحد توجه الملك عبد العزيز عن إعادة إحياء إرث التكفير الذي نظر إليه كمحرّض فعال لأنصاره على الغزو وجني الغنائم فكفّر المسلمين قاطبة

وكان عبد العزيز قد أجبر في سنة ١٩١٨ جميع البدو في نجد، باستثناء عجمان، أن يعتنقوا الاخوانية، وأن يعترفوا به إماماً عليهم. ولكي يضمن ولاء تلك القبائل وبقاءها تحت سيطرته، استدعى ابن سعود الزعماء الوهابيين الى الرياض لإصدار فتوى تقضي بأن يقوم المؤمنون من الاخوان ببناء القرى والمدى، وأن يتعاطوا الزراعة، لأن ذلك فريضة من الوجهة الدينية(٢٥).

وكانت نهاية الاخوان على يد الحكومة البريطانية وليس إبن سعود، فهي من تكفّلت بتأمين كل ظروف النصر العسكري على جيش الاخوان، فأبقت العراق والكويت على الحياد، ووضعت قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية، وأجبرت الثوار على الاستسلام، ولولا ذلك لما تمكن عبد العزيز من سحق حركة الاخوان، ولكان البيت السعودي قصة مأساوية في التاريخ.

يقول ديكسون: وبانهيار الثورة ووفاة فيصل الدويش يمكن القول إن مذهب الاخوان الحماسي قد ولّى الى غير رجعة. وكان ابن سعود يعرف ذلك، فلم يكن يرغب في إشعال النار مرة أخرى، فمذهب الاخوان القائم على الدين والتعصّب، أخطر من أن يكون لعبة في يديه. لقد أخطأ مرة ولن يعيدها(٢٦).

من الملاحظات المثيرة للدهشة، أن الطريقة التي كشف عنها عبد العزيز بعد سحق حركة الاخوان واعتقال قادتها، وانكشاف ارتباطاتها

الواضحة مع الانجليز، أحدثت ردود فعل لافتة. يصف ديكسون ذلك بالقول:

(ومع مرور الزمن لم يعد البدو يطلقون على ابن سعود لقب الإمام لا سيما في الشمال والشمال الشرقي من صحراء الدهانة (الدهناء) في شمال شرق الجزيرة العربية. وأصبح يعرف بعد ذلك بالوهابي وخاصة بين أولئك الذين ثاروا ضده، كصفة للتحقير أكثر من أي شيء آخر. وصاحب ذلك أيضاً اختفاء بعض التقاليد الشعبية والعادات التي تحمل دلالات معينة ورمزية خاصة بالاخون مثل لبس الكوفية البيضاء. يقول ديكسون أن الكوفية البيضاء التي كانت رمزاً(للأخ) الصالح لم تعد ترى إلا نادراً. فقد عاد معظم مطير ورشايده وعوازم وعجمان وشمر الى العقال القديم. أما الذين ظلموا يعتمرون الكوفية البيضاء فقد كانوا يفعلون ذلك وألسنتهم في وجناتهم أو للحصول على خدمة من الملك)(٢٧).

مع قيام الدولة السعودية بدأت تختفي لهجة التكفير على المستوى السياسي، وإن بقيت حاضرة في الأدبيات العقدية الوهابية. فقد تخلى الملوك السعوديون عن لهجة التكفير، بل تبنوا خطاباً دينياً عاماً، كما يظهر في خطاباتهم:

- نقرأ في خطاب الأمير سعود نيابة عن والده عبد العزيز في المأدبة الكبرى بالقصر الملكي ضمّت وفوداً من حجاج بيت الله الحرام في ذي الحجة سنة ١٣٦٦هـ جاء فيه: (المسلمون إخواننا إينما حلوا ونزلوا..)(٢٨). ولكن لم يتخلى آل سعود عن تذكير رعاياهم - ضحاياهم بكيفية نشأة الدولة، ففي خطاب سعود في حفل المأدبة الشعبية بالقصر الملكي ذكّر الحضور من الحجازيين بالتعاون (على النهوض بهذا الملك، الذي أسسناه بسيوفنا)، قال ذلك بعد انتشار منشورات تطالب بحرية الحجاز(٢٩).

- وفي كلمة له لحجاج بيت الله الحرام في ذي الحجة ١٣٧١ خاطب الحجاج بـ (إخواني المسلمين)(٣٠). وأعاد ذلك في الخطابات اللاحقة.

- وفي كلمته الى أهالي مكة خاطبهم الملك سعود (أبنائي أهل البلاد المقدّسة الكرام..) وقال (إن عواطف الإخلاص والولاء التي انبعثت من أعماق قلوبكم.. كان لها أبلغ الأثر في نفسي، وفي نفوس أفراد الأسرة، وكانت لنا أعظم سلوى..)(٣١).

- وفي بيان الملك سعود الى أهالي المنطقة الشرقية في يناير ١٩٥٤ جاء فيه (وقد أثلج صدري، وسر خاطري، ما لمست فيكم، أفراداً وجماعات من صدق الإخلاص، وعمق الولاء، وكريم المشاعر..)(٣٢).

وهكذا حلت السياسة مكان الأيديولوجيا، وتوقّف الأمراء السعوديون عن توظيف العقيدة في العلاقة مع المحكومين، وصار الحديث عن وطن ودولة بدلاً من دين وأمة.

ولئن تمسّك العلماء بالموقف العقدي من المجتمع، فإن الأمراء لم يكن بمقدورهم بعد نشوء دولتهم أن يقذفوا محكوميهم بالتكفير لأن ذلك على خلاف مع منطق الدولة واستقرارها وتماسكها.

ولكن ثمة لهجة خاصة يستعملها الأمراء مع العلماء، تؤكد على ثوابت التحالف التاريخي بين آل الشيخ وآل سعود. في كلمة الملك سعود الى العلماء في مايو ١٩٥٩ يوصيهم فيها قائلاً (فسيروا واحملوا مشاعل الدين، لتنيروا للعالم طريق الهداية كما فعل أجدادنا الكرام، وبدوري أسير أمامكم وخلفكم، وأحميكم بقوة من عند الله، ثم بسيفي حيث إنكم أنتم دعاة الدين وحملة لوائه، فلا تخشوا في أحكامكم غير الله.. ولو لم يبذل آباؤنا وأجدادنا أرواحهم في سبيله لما وجدنا أنفسنا في هذه النعم..)(٣٣).

المصادر

(١) د. عبد الفتاح حسن أبو عليه، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩١، ص ص ٢٠ - ٢١

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى عصرنا هذا، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الطبعة السابعة ٢٠٠٤، الجزء الاول، ص ٢٥٨ - ٢٦٤

(٣) الدرر السنية، المصدرالسابق، الجزء الأول ص ٢٦٥ - ٢٦٨

(٤) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، كتاب (التوضيح عن تتوحيد الخلاق في جواب أهل العراق)، وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، طبع القاهرة، ١٩٠١/١٣١٩، ص ص ١٥ - ١٦

(٥) د. عبد الفتاح أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق ص ٤٩

(٦) هـ.ر.ب. ديكسون، الكويت وجاراتها، دار صحارى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٠، الجزء الأول، ص ١٠٥

(٧) ديكسون، الكويت وجاراتها، المصدر السابق، ج١ ص ١٠٥

(٨) الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية، الجزء التاسع، القسم الثاني من كتاب الجهاد وأول كتاب حكم المرتد، ص ص ٢٦٤ - ٢٨٩

(٩)د. عبد الفتاح حسن أبو عليّة، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤ - ١٨١٨، مصدر سابق، ص ٦٠

(١٠) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مصدر سابق، ج١ ص ص ٢٨٧ - ٣١٣

(١١) د. منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية ..عهد الإمام سعود الكبير، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٣، الجزء الثالث ص ٢٤١ - ٢٤٥

(١٢) منير العجلاني، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٢٥٠ - ٢٥٨

(١٣) الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية، المجلد الرابع عشر، كتاب النصائح، ص ٢٨

(١٤) د. منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد الامام سعود الكبير، الجزء الثالث، مصدر سابق ص ٢٦٢ - ٢٦٤

(١٥) د. منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٢٥٩ - ٢٦١

(١٦) د. منير العجلاني، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٢٦٩

(١٧) جريدة أم القرى العدد ٣٨٨ الصادر في ١٤ محرم ١٣٥١هـ/ ٢٠ مايو ١٩٣٢

(١٨) د. منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية..عهد الامام سعود الكبير، مصدر سابق، الجزء الثالث ص ٢١٠ - ٢١١، نقلاً عن أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة

(١٩) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، بيروت الطبعة السابعة ٢٠٠٤، الجزء الأول ص ص ٥٩٣ -٥٩٥

(٢٠) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الاسلامي، تكساس ١٩٨٢، ص ٦٠٨

(٢١) جريدة أم القرى، العدد ٥٢ بتاريخ ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥

(٢٢) جريدة أم القرى، العدد ٥٤، الصادر في ٢٣ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/ ٨ يناير ١٩٢٦

(٢٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ص ص ٥٨٤ - ٥٨٥

(٢٤)هـ.ر.ب. ديكسون، الكويت وجاراتها، مصدر سابق، الجزء الاول ص ٣١٤

(٢٥) ديكسون، الكويت وجاراتها، الجزء الاول ص ٢٤٨

(٢٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص ٣٤٢ -٣٤٣

(٢٧) المصدر السابق، الجزء الاول ص ٣٤٤

(٢٨) جريدة (أم القرى) العدد ١١٨٢ في ١٦ ذي الحجة ١٣٦٦هـ، الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٤٧

(٢٩)أم القرى العدد ١١٨٤، الأول من محرم ١٣٦٧هـ/ ١٤ نوفمبر ١٩٤٧

(٣٠) أم القرى العدد ١٤٢٧ بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٣٧١ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٥٢

(٣١) أم القرى العدد ١٤٩١ في ٢٠ ربيع الأول ١٣٧٣، الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٥٣

(٣٢) أم القرى العدد ١٤٩٩ في ١٧ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ/ ٢٢ يناير ١٩٥٤

(٣٣) أم القرى، العدد ١٧٦٧ في ٢٩ شوال ١٣٧٨ الموافق ٨ مايو ١٩٥٩

مناقشة حامية حول كتاب روبرت ليسي (في داخل المملكة)

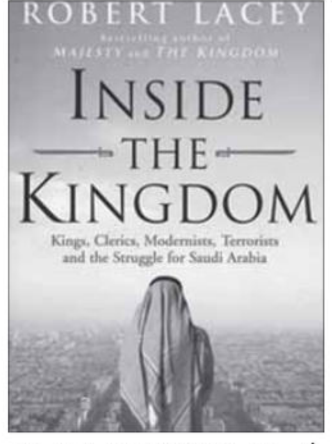
مي يماني: الإصلاحات مجمّدة وبلغت درجة التعفّن

هاشم عبد الستار

هل توقّف الإصلاح في السعودية؟ السؤال المركزي الذي دارت حوله المناقشة المحمومة في مركز دراسات تشام هاوس، في العاصمة البريطانية، لندن في ٣٠ أكتوبر الماضي، حول كتاب صدر حديثاً بعنوان (داخل المملكة: الملوك، العلماء، التحديثيون، الإرهابيون، والصراع من أجل السعودية) للمؤلف البريطاني روبرت ليسي.

طاولة النقاش ضمّت إلى جانب مؤلف الكتاب، الباحثة والأكاديمية الحجازية الدكتورة مي يماني، مؤلف كتاب (مهد الإسلام: الحجاز والبحث عن الهوية العربية)، وبرئاسة البروفسور مضاوي الرشيد، من كلية كينجز في لندن.

وحضر النقاش عدد من الباحثين والمهتّمين إلى جانب مجموعة من المسؤولين السعوديين من بينهم ابن الملك فهد، الذين استمعوا الى مناقشة غير مسبوقة في هذا المكان لعملية تشريح دقيقة لبنية النظام السعودي، ولتوجّهاته السياسية، فيما واجه مؤلف الكتاب روبرت ليسي عاصفة من التعليقات الناقدة لمضمون كتابه، أفقدته أحياناً القدرة على الدفاع عن خلاصات أوردها في بحثه.



بدأت جلسة المناقشة بتقدمة لرئيسة الجلسة البروفسورة مضاوي الرشيد التي عرّفت بكل من المؤلف ليسي والمناقشة يماني، حيث تمّ تعريف روبرت ليسي على أنه مؤرّخ بريطاني وصحافي، وأنه عاش في المملكة سنة ١٩٧٩ مدة ثمانية عشر شهراً لتأليف كتابه (المملكة) الذي صدر باللغة الإنجليزية والعربية، وقد تمّ منع الكتاب من قبل الحكومة السعودية في ذلك الوقت. وأمضى الثلاث السنوات الأخيرة بين المملكة وبريطانيا لجمع مادة كتابه الجديد (داخل المملكة) من مختلف مستويات وفئات المجتمع السعودي، من المعارضين السياسيين، ومعتقلي غوانتنامو، وصولاً الى الدوائر الضيقة جداً في العائلة المالكة.

وحول المناقش، عرّفت الرشيد مي يماني بأنها أكاديمية مستقلة، وأستاذ زائر في مركز كارنيجي في الشرق الأوسط في العام ٢٠٠٨ وزميل زائر في معهد بروكينز في واشنطن، العاصمة، في العام ٢٠٠٨. وعملت زميلاً باحثاً في المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن في الفترة ما بين ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٧. وفي الإعوام من ١٩٩٢ ـ ٢٠٠٠، شغلت يماني موقع زميل باحث في مركز الشرق الأوسط والشريعة الإسلامية في جامعة لندن. وفي تلك الفترة، عملت كمستشار أكاديمي في مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون، ومحاضر في الأنثروبولوجيا وعلم الإجتماع في جامعة الملك عبد العزيز، بجدة، منذ ١٩٨١ ـ ١٩٨٤. ومن بين المؤلفات الصادرة للدكتورة يماني، ذكرت الرشيد كتاب (مهد الاسلام: الحجاز والبحث عن الهوية العربية) المنشور في العام ٢٠٠٤.

وفي التأسيس للمناقشة، ذكرت الرشيد بأن كلا المتحدّثين سيناقشان الى أي حد كانت الرياض مخلصة في رغبتها في الإصلاح والتحديث، ولفتت النظر الى أن تصاعد التطرف الديني وجهود الملك لتغيير الاتجاه يمثّلان عنواناً لموضوع المناقشة.

في ردّه على السؤال المركزي حول توقّف الإصلاحات، أجاب ليسي بأنّه لا يعتقد بان الإصلاحات توقّفت، واقترح التورخة المحددة من قبل رئيسة الجلسة للإصلاحات المرتبطة بعهد الملك عبد الله، التي تبدأ بـ ١٤ فبراير من هذا العام، والتي صادفت عيد الحب، وقد اكتسب هذا اليوم، حسب ليسي، أهمية إضافية كونه اليوم الذي أعلن فيه الملك عبد الله التعديل الوزاري. ويفترض ليسي أن أي تعديل يجريه القادة السياسيون يستغرق، عادة، عدة أسابيع أو عدة شهور كما في حالة أميركا. الملك عبد الله أخذ سنتين ونصف السنة لأنه جاء الى العرش في أغسطس ٢٠٠٥. وعلّق ليسي بأنه من غير الممكن إخضاع الإصلاح السعودي للمحاجّة بالقياس الى بلدان أخرى. ويرر ذلك بأن السعودية مجتمع محافظ، حيث يبدو من الصعوبة الإلتزام بنوع الاصلاحات الغربية في الحكومة، أو على الأقل فإن الحكومة تعتبر من الصعوبة بمكان الدفع بها للأمام وتفضّل تحاشي الصراع.

ويمضي ليسي في تبرير طول أمد الإصلاحات التي تبنّاها الملك عبد الله، بأن السبب الآخر يعود من جهة الى أنه كان الملك الفعلي، أو الحاكم الرئيس للسعودية مدة عشر سنوات قبل ذلك، وفي تلك الفترة قام بتغييرات أخرى، من أبرزها تعيين الدكتور غازي القصيبي كأول وزير للمياه، ومن ثم وزيراً العمل. ويصعّد ليسي من أهمية هذه الخطوة بتحضير ما نقله عن كثيرين حسب اعتقاده بأن القصيبي هو بمثابة رئيس وزراء غير رسمي للسعودية. ويعلّق ليسي بالقول بأنه ـ أي القصيبي، الواجهة الصلبة التي يستعملها الملك عبد الله. ونقل، من موقعه الصحافي، ما سمعه من أحدهم داخل المملكة بأن القصيبي مقرّب جداً من الملك، وأنه شخص إصلاحي. وهناك وزراء آخرون، حسب ليسي، عيّنهم الملك مثل رجل الأعمال الحجازي عبد الله علي رضا، الذي أدار مفاوضات صفقة الإنضمام لمنظمة التجارة العالمية وأصبح وزيراً

للتجارة.

واصـل ليسي عـرض مـا يـعـتبره خطوات إصلاحية لافتة، من بينها تعيين أول إمـرأة في منصب وزير في السعودية، ولكن ليس في الحكومة وإنما في منصب نائب وزير التعليم، الدكتورة نوره الفايز، في تعليم البنات في الوزارة، وهذا، من جهة نظره، إصلاح آخر قام به الملك عبد الله في تعليم البنات، مفيداً من مأساة حريق مكة في العام ٢٠٠٢ لنزع هيمنة المؤسسة الدينية على تعليم النساء وربطها بوزارة التعليم.

وأسهب ليسي في استعراض ردود الفعل الدينية على تعيين الفايز، وذكر ما قامت به مجموعة من المتشدّدين في إبـريل الماضي بتنظيم احتجاج في الرياض ضد تعيين الفايز، وذهبت المجموعة لمقابلة أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وطالبوا بإعادة تعليم البنت الى سيطرة المشايخ وعلماء الدين.

وفي حقل التعليم أيضاً، والكلام مازال للكاتب ليسي، عيّن الملك زوج إبنته وابن أخته الأمير فيصل بن عبد الله. ويقول ليسي بأنه يعرفه لسنوات عدّة، وقد قابله خلال تواجده في السعودية في عامي ٧٩ ـ ٨٠ من القرن الماضي، وكان يلتقيه في بيت أحد الأمراء في منتصف ليلة الجمعة من كل أسبوع، والتي تشبه إلى حد ما منتصف ليلة الأحد في لندن، ولم يكن يعلم بأنه على صلة بولي العهد حينذاك (كـان مجرد فرد منا) حسب قوله. ومن أجل درء أية انطباعات أخرى، اكتفى ليسي بالإشارة الى أن جلسات منتصف الليل مع الأمراء كانت تقتصر على مشاهدة برنامج تلفزيوني تعليمي في إحدى القنوات البريطانية يدعى (من فضلك، أيها السيد)، ويبقى الجميع يشاهد هذا البرنامج حتى مطلع الفجر. ويرى ليسي رابطاً بين البرنامج التلفزيوني وقرار تعيين الأمير فيصل بن عبد الله وزيراً للتعليم في السعودية، وبأن ذلك بمثابة إعداد جيد له لتولي هذا الموقع. بل يزيد على ذلك شرحاً، إذا كانت هناك تغييرات ـ وستكون هناك تغييرات بالرغم من عدم الاعـلان عن أي منها ـ فجميعها قد يعود الى تلك الليالي في مشاهدة التلفزيون!

ولم يبرح ليسي الحديث بإسهاب، وفي الغالب ضئيل الفائدة، عن الأمير فيصل بن عبد الله، حيث يقول بأن أول شيء قام به الأمير فيصل وشاهده في اليوم التالي، أنه ذهب لمقابلة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ لأن أية تغييرات في النظام التعليمي في السعودي لا بد أن تحظى بموافقة أو التغلب على معارضة المؤسسة الدينية التي ستحارب بأسنانها وأظفارها لمنع أي محاولة لتخفيف عدد المواد الدينية أو ابتكار شيء ما مثل التعليم المختلط، وهو بالتأكيد خيار في المستقبل.

ينقل ليسي عن بيان رسمي بأن المفتي بارك جهود الـوزارة لجهة القيام ببعث تعليمي وتمنى للـوزراء الجدد كل النجاح في أدوارهـم الجديدة.

وتساءل ليسي عن المدى الذي يمكن أن تسمح به المؤسسة الدينية للأمير الشاب الحيوي (كان شاباً يوم قابله ليسي قبل نحو ثلاثين عاماً)، لجهة القيام بجدول الاصلاحات الذي عمل عليه الى جانب أمير آخر، فيصل بن معمر، وهو من الموثوقين جداً لدى الملك عبد الله. وكما في حالة فيصل بن عبد الله، لم يشأ ليسي أن يضيّع فرصة مناسبة للحديث بإسهاب أيضاً عن فيصل بن معمر، الذي يدير مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وهو من أدار الحوار الوطني، وهو عنصر آخر في عملية الإصلاح التي تعود الى إصلاحات مابعد الحادي عشر من سبتمبر، والتي جمعت الشيعة والسنة في غرفة واحدة، وجمعت الرجال والنساء لمناقشة قضايا المرأة.

ويعتقد ليسي بـأن التغيير الآخـر للإصلاح العلماني لم يكن في تغيير الاشخاص، ولكن تغيير وزير الصحة، وتعيين الطبيب النجم الدكتور ربيعة، الذي أصبح مشهوراً على المستوى العالمي بخبرته في عملية فصل التوائم السيامية. ويصف ليسي سعادة الملك عبد الله بهذه العمليات، حيث كان يقوم بإطلالة على المستشفى التي تجري فيها العمليات لرؤية آخر طواقم التوائم، الذين يأتون على نفقته الخاصة من كل أرجاء العالم.

من وجهة نظر ليسي، أن الإصلاحات الأكثر أهمية التي صوّبت إلى صميم ما يجب فعله في السعودية، هي إصلاح الطبيعة الدينية. وأهم تلك الخطوات الرائعة كان إقالة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الذي كان رئيس القضاء في السعودية وأصبح سيء الصيت في صيف ٢٠٠٨ حين كان هناك مسلسل ناجح في التلفزيون يدعى نـور، وشأن المسلسلات الأكثر شعبية في العالم العربي تمّ إنتاج المسلسل في تركيا. وقد ساء اللحيدان ردود الفعل التي تركها المسلسل على الحياة الاجتماعية في السعودية، ودعى الى قتل مالكي الفضائيات الذين يبثّون هذا النوع من المسلمين لإفساد البلاد الاسلامية. وقد تم إرغامه لاحقاً على تقديم اعتذار موارب بخصوص موقفه. وقال بأنهم سيخضعون للقتل بعد أن تتم محاكمتهم في محكمة شرعية. وقد أثار موقفه استياءً واسعاً، وكان من المرشّحين البارزين للاختفاء من المشهد السياسي، واستدرك ليسي ليقول (لو كان الحال في بلدان أخرى، قد تتم إقالته من منصبه على الفور، ولكن قرار إبعاده استغرق نحو تسعة شهور).

ويواصل ليسي رصد التغييرات (أو الاصلاحات إن شئتم)، ومنها إقالة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على خلفية سلسلة قضايا، احتلت مركز الصدارة في الإعلام المحلي، حين تم إتهام الشرطة الدينية بالتعامل غير العادل مع أولئك الذين يجري اعتقالهم. ومن وجهة نظره أيضاً، فإن التغيير الأشد أهمية كان إقالة وزير العدل، وهو عضو في عائلة آل الشيخ.

ما يريد روبرت ليسي التوصّل اليه هو هنا: أن إقالة عدد من الأشخاص في بعض الـوزارات والمؤسسات الرسمية الدينية والسياسية يحمل في طياته رسالة في الاصلاح والتغيير. ويفترض بأن سؤالاً كبيراً ينبعث من استعراضه السابق حول دلالة هذه التغييرات وينقل عن غازي القصيبي، الذي يعرف السلم الموسيقي حسب قوله، أن هذه التغييرات تستهدف تسريع الاصـلاح التعليمي والقضائي.

ويميل ليسي للاعتقاد بأن آل الشيخ لم يتحرك بالسرعة الكافية، ونقل عن جمال خاشقجي، رئيس تحرير جريدة الوطن، والناطق بإسم خالد الفيصل وأعضاء آخرين في العائلة المالكة قوله (الناس المسؤولون الآن ليسوا هم من يطالبون بتطبيق الإصـلاح، ولكنهم الناس الذين يعتقدون صدقاً بالإصلاح). ولا ينسى ليسي تذكير مستمعيه بأن إقالة الشيخ اللحيدان لم تكن نهائية، فهو مازال ضمن دائرة العلماء ويمارس دوره الديني بوصفه جزءً من هذا العالم الواقع خارج إطار التراتبيات الرسمية.

ولكن ليسي الذي يحاول رسم صورة وردية عن تغييرات يراها لافتة في عهد الملك عبد الله، لا



يتردد في حشد كل الأدلة الداعمة لرؤيته. وينقل عن وزير كبير، تحاشى ذكر إسمه لعدم امتلاك الحرية للكشف عن هويته، وصفه لإصلاحات الملك عبد الله بأنها (إنقلاب)، فيما يرسم العناصر العلمانية في الحكومة خطأ في سياق استلام السلطة من المؤسسة الدينية.

يتنكّب مؤلف كتاب (من داخل المملكة) الى عنصر هام آخر في الإصلاحات إضافة الى العلماء من خارج المدرسة الحنبلية، المعروفة بكونها الأكثر تشدّداً ومحافظة، والتي ينتمي اليها الوهابيون. فالعلماء يخضعون تحت سيطرة الحنابلة ولكن هناك ثلاث مدارس أخرى، وقد قام الملك عبد الله بخطوة لافتة بتعيين، أو إعادة تعيين الشافعي عبد الوهاب أبو سليمان، وآخر حنفي، وإثنين آخرين من المذهب المالكي. فهيئة كبار العلماء تتألف الآن من ٢١ عضواً، من بينها سبعة عشر حنبلياً.

يحاول روبرت ليسي عقب عرضه السابق بكل الاستطرادات غير الموفّقة، أن يسبغ أهمية على مقاربته من خلال توجيه لفتة تعضيدية لنهج المراقبين الغربيين في حديثهم عن السعودية لناحية التعرّف على ما يجري في المملكة، من خلال التركيز كثيراً على من يقوم بالعمل الحقيقي في العائلة المالكة. ويسحب تلك المقاربة على العلماء أنفسهم لمعرفة من هو الفاعل الحقيقي في مؤسسة العلماء. ويعود ليسي الى عام ١٩٦٢ حين شعرت العائلة المالكة بأنها غير قادرة على إزاحة الملك سعود وتعيين الملك فيصل دون سلطة المشايخ والعلماء. وحدث الشيء ذاته حين تمّت السيطرة على المسجد الحرام في العام ١٩٧٩، من قبل تلامذة العلماء بقيادة جهيمان العتيبي، الذي كان وأتباعه معروفين بصورة شخصية لدى العلماء، ولهذا السبب لم يقم العلماء بتوجيه إدانة لهم. فلدى العلماء مجموعة هائلة من التوصيمات التي يمكن أن يلقوها على أولئك الذين ينحرفون، ولكنهم اختاروا أن يصفوهم فقط بـ (المجموعة المسلّحة)، لأنهم خرجوا عن تعاليم الشيخ بن باز وآخرين. وفي واقع الأمر، حين ذهبوا في الصباح لانتزاع الميكرفون من المؤذّن، كان الشيخ من بين أساتذتهم، وهذا يظهر نوع التأثير المتراوح للعلماء.

وفي العام ١٩٩٠، كانت العائلة المالكة بحاجة الى سلطة العلماء لناحية تأمين السماح للقوات الأميركية بالقدوم الى السعودية، التي كانت بطبيعة الحال الأرض الرئيسية للإنقسام بين أسامة بن لادن والقاعدة من جهة وآل سعود من جهة ثانية، والذين كانوا حتى ذلك الوقت أخلاّء، كعمال مشتركين وأبطال في أفغانستان. من مجمل ذلك، يرى ليسي بأن هذه التغييرات التي قام بها الملك عبد الله في مؤسسة العلماء تبدو له في غاية الأهمية.

وقبل أن ينهي عرضه، تعرّض لما أشارت إليه البروفسورة مضاوي الرشيد حول الانتخابات، وعلّق قائلاً بأن ثمة أشياء حصلت هذا العام ما تدعو للقول بأن هناك أشياء قادمة في طريق الإصلاح. وبخصوص الانتخابات يعتقد ليسي بأن ما حصل كان أن نائب وزير البلديات والأمير المسؤول عن الانتخابات ذهب للخارج في إبريل ـ ٢٠٠٩ ـ وقال ليسي بأن الأمير عقد نوع من الندوات واللقاءات في مناطق متفرّقة، وخصوصاً في الشرق، وأشار الى إحتمالية مشاركة النساء في الانتخابات. ويصف ليسي ذلك بأنه نوع من النموذج التقليدي من آل سعود، فهم يرمون حجراً في الماء ثم ينظرون الى كيف تمضي التموّجات. ويشرح ذلك بالقول بأن لقاءات الأمير لفحص إمكانية تصويت المرأة لأن الإنتخابات الأخيرة التي قامت بها الحكومة قد ألزمت نفسها الى حد ما بالسماح للنساء بالتصويت في الإنتخابات البلدية القادمة. ويعلّق على ذلك بالقول بأنه في الظاهر كان رد الفعل غير إيجابي، ولكنه يشير، من باب إبراء الذمة، بأن الشيء الذي لم يجد الفرصة للتحقّق منه هو الغضب العميق المنبعث من بعض هذه الاصلاحات.

وعرّج ليسي على الاحتفالات الأدبية هذا الربيع في السعودية والتي وصفها بأنها (مناسبات رائعة) لأن لدى الأصوليين بعض المنتديات التي يعبّرون فيها عن مشاعرهم، وأنهم توصّلوا الى أنهم في حال ذهبوا الى الاحتفال الأدبي حيث يكون هناك شعراء علمانيون وشعبيون فبإمكانهم القيام باحتجاج وجلبة. وكان هناك الكثير من المتاعب كهذه، وهناك متاعب أخرى في المدينة المنورة ذات صلة بحقوق الشيعة.

ولذلك، قررت الحكومة بأن تصويت النساء سيتسبب في متاعب كثيرة، ما دفع الى تأجيل ذلك لسنتين. ويرى ليسي بأن ذلك لن يضيف عنصراً الى مقولة توقّف الاصلاحات، لينتهي الى خلاصة بأن الإصلاح الذي يجري في السعودية على يد الملك عبد الله وحكومته يسير بالسرعة الممكنة في مجتمع محافظ جداً.

مي يماني: الاصلاحات مجمّدة

إستهلّت الدكتورة يماني مناقشتها لكتاب روبرت ليسي (في داخل المملكة)، بمقدمة إحمائية قبل أن ترفع من درجة سخونة المناظرة، ونوهّت الى المكان الذي تنطلق منه وقالت بأنه مادمنا تحت نظام ملكي مختلف في (شتام هاوس)، حيث بمقدورنا أن نملك رؤى مختلفة، فإنني أود أن أتبنى رأياً مختلفاً من روبرت ليسي.

إكتفت الدكتورة يماني بهذه المقدمة المقتضبة لتقلب المشهد الرومانسي الذي عرضه ليسي رأساً على عقب. بدأت بتكثيف النتائج التي خلصت اليها من عشرات المقالات والأبحاث والمحاضرات التي قدّمتها في السنوات الأربع الماضية حول الاصلاحات، وثبّتت حقيقة كبرى: أن الإصلاحات في السعودية مجمّدة. وشرحت ذلك بالقول أن الاصلاحات أودعت عند مستوى تجمد عميق بصورة دائمة تسدّد ثمنه الثروة النفطية. وأن هذه السياسة تقدّم إستقراراً قصير المدى بالنسبة للمملكة، ولكن جسداً مجمّداً هو قابل للكسر بسهولة، وفي حال إبقائه مجمّداً بعد إنتهاء تاريخ الصلاحية قد يصبح متعفّناً حين تتم إذابته.

وتثير يماني سؤالاً في سياق مناظرتها: ماذا يبرر حالة التجمّد هذه؟ هل هي الوهابية أم أن الوهابية الرسمية هي العقبة أمام الإصلاح؟ ومن هم أولئك الرجال المبهمون الذين يمثّلون هذا المذهب؟

وقف العلماء الوهابيون السعوديون من حيث المبدأ ضد الاصلاح الديمقراطي بسبب اعتقادهم بعصمة تفسيراتهم للنص الاسلامي والبيعة للحاكم

وهنا تقتحم اليماني مجال الرؤية لدى روبرت ليسي لتعيد توظيف عناصره في مناظرتها. تقول يماني بأن ليسي يشرح بأن (وهابي) هو مصطلح يتم استعماله من الناقدين الأجانب، ولكنه يختار فيما بعد استعمال المصطلح في كتابه. وفي إشارة تطمينية تقول يماني بأنها تود طمأنة روبرت بأن الوهابيين النجديين أنفسهم يستعملون المصطلح نفسه هذه الأيام، وأنهم فخورون به. وتضيف يماني بأنها سمعت سعوديين يقولون (أنا وهابي ليبرالي)، و(أنا وهابي علماني). إنها، حسب وجهة نظرها، هوية وأن هذه التعبيرات يجري استعمالها غالباً في المواقع الوهابية السعودية. وكتصديق على ذلك، فإن المفتي العام السابق للمملكة الشيخ عبد العزيز بن باز قبل في فتوى مصطلح (الوهابية)، وخصوصاً في حال نشر الدعوة.

تنطلق من تلك المقدّمة لتقترب يماني مباشرة من مضامين الكتاب، الذي تصفه كقارىء يصاب بعد قراءته بالإرباك خصوصاً القارىء الأجنبي الذي يتساءل عن معنى وهابي أو سلفي. في أحيان، هم إسلاميون وبالطبع حنابلة، وقد يصنّفون تحت السنة. ولكن تتحفّظ الدكتورة يماني على هذه المقاربة وتعتبرها تبسيطاً مبالغاً للهوية وتنوّع السكان في السعودية. وتنوّه هنا الى دراستها في هذا الشأن كما جاء في كتابها (مهد الإسلام). وتمدّ يماني مساحة الإرباك الذي يصيب القارىء الى موقع الوهابيين الرسميين والإصلاح. وتتوقف

هنا لتنوّه بكتاب البروفسورة مضاوي الرشيد (صراع الدولة السعودية: الأصوات الإسلامية للجيل الجديد).

وتمضي اليماني في منازلتها لتخوض صلب وظيفة المؤسسة الدينية، وتقول بأن المؤسسة الدينية الوهابية، باعتبار القائمين عليها حكّاماً مشاركين في الدولة السعودية، ليست معارضة، عموماً، للتحديث الاقتصادي: الطرق السريعة، والمباني الشاهقة، والمدن الاقتصادية الكبيرة في العالم، وخصوصاً المنشآت النفطية المتقدّمة. وفي الحقيقة، حتى الشيخ بن باز، المفتي العام السابق للمملكة، الذي اشتهر بمقولته بأن الأرض مسطّحة، ولكن روبرت ليسي يشرح بأن ابن باز ينظر إليه باعتباره عالماً منفتحاً، وأن كلام العالم الورع كان قائماً في الحقيقة على الحاجة الى المزيد من الدليل العلمي. وعليه، فإن الوهابيين الرسميين ليسوا معارضين للتقدّم الاقتصادي أو العلمي. على أية حال، فإن السيطرة الوهابية قد قيّدت بشدّة عملية الإصلاح السياسي. فقد وقف العلماء الوهابيون السعوديون من حيث المبدأ ضد الاصلاح الديمقراطي وإرجاع ذلك الى عقيدتهم في عصمة التفسيرات الوهابية للنصوص الاسلامية والبيعة للحاكم.

وتزيد يماني في توضيح هذه الإشكالية العويصة بالقول أنهم ـ أي العلماء الوهابيون ـ يفهمون التحالف المصلحي للمملكة مع الولايات المتحدة. ففي أعقاب حرب العراق وتلويح بوش براية الديمقراطية للشرق الأوسط، حتى لا تظهر وكأنها تقف وراء الدول العربية الأخرى في هذا الشأن، تم إجراء انتخابات بلدية جزئية في العام ٢٠٠٥. فقد كانت الانتخابات جزئية، وتحت السيطرة، وفي الأخير بلا تداعيات. إن نجاح الإسلاميين، كما تقول يماني، كان مفصّلاً بحسب المقاس من قبل النظام السعودي، بهدف تحذير الولايات المتحدة بأن الاصلاحات الانتخابية غير مرغوبة على المدى البعيد. ولذلك، تم إلغاء إنتخابات ٢٠٠٩.

ولكن الوهابية، كما ترى يماني، واهنة أمام الضغوط الشعبية من أجل الاصلاح. وأن التجارب الديمقراطية في بلدان مجلس التعاون الخليجي المجاورة، مثل قطر، وهي الدولة الوهابية الوحيدة في الجزيرة العربية، تقدّم نقطة مضادة. فإذا قبل الوهابيون السعوديون الإجراءات الديمقراطية، فسترغم الوهابية على تغيير مسلكياتها ومبادئها التوجيهية. في الكويت كما في البحرين، فإن مشاركة السلفيين في البرلمان جاءت فقط بعد الحصول على إذن من الشيخ عبد العزيز بن باز وخلفه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. فالإذن هو مؤشر على أن الوهابيين السعوديين يعارضون الديمقراطية في الداخل فقط. فقد يكونوا براغماتيين إزاء الاصلاح السياسي، ولكنه متاح لمن هم في الخارج، وليس في المملكة حيث أن سلطة النظام، في حال اعتمد مبدأ الانتخابات، ستضعف.

في المملكة، يشغل رئيسا المؤسسة الدينية الوهابية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منصب وزير دولة، وأن موظفيها، المطاوعة، يمثلون ذراع الدولة ووحدة ضبط التجميد. وتقول يماني، بأن روبرت يصف تحرّشات المطاوعة ضد الشعب ـ وتذكر أن من بين أشياء أخرى لا يحبونها هي الزهور في عيد الحب ـ ولكن روبرت يترك روابطهم بالدولة غامضة جداً. فهل المطاوعة جزء من الحكومة؟ هل هم شرطة آداب غير مقيّدين بعقود ثابتة؟ وهل هم مستقلون عن الدولة؟ أم هم جنود مستقلون للفضيلة؟ وهل هم أقوى من آل سعود؟ وهل هم ورؤساءهم الوهابيون دولة داخل دولة؟ أم أنهم أدوات في أيدي آل سعود لضبط السكان عبر الهيئة، خصوصاً الشيعة في الشرق والاسماعيلية في الجنوب؟ وهل آل سعود قادرون أو راغبون بضبط النشاطات الوحشية للمطاوعة؟

فقط في السعودية، حسب يماني، يمثل المطاوعة يد الله وهم فوق القانون. ولكن الغضب الشعبي إزاء ممارساتهم الوحشية مؤشر على الضغط من أجل الإصلاح. ومنذ مايو ٢٠٠٧، شنّ المطاوعة هجوماً عدوانياً، باقتحام البيوت واعتقال أفراد لعدة أيام وتعذيب البعض وضرب آخرين حتى الموت. وكرد فعل على مطالبات مهنيين سعوديين بتقديم

لمنع التصدّعات من أن تصبح إنهيارات، فإن النظام السعودي يجب أن يخرج الإصلاح من حالة التجمّد التي دامت سنين طويلة

المطاوعة للعدالة، بارك الأمير نايف، وزير الداخلية، المطاوعة وربط مهمتهم بالحرب ضد الإرهاب.

الإصلاح أو ضد الاصلاح يفضي الى جمود غريب وهو نتاج انقسامات عميقة داخل العائلة المالكة. وتصف يماني استراتيجية الملك عبد الله بانها عبارة عن إلغاء الضغط السياسي: لتقديم مجرد امتيازات كافية لإرضاء سكان السعودية وتخفيف الضغط من أجل الإصلاح.

وقد تحدّدت معالم محاولات الاصلاح السياسي بالمقاومة، وتشمل التكتيكات الاحباطية من قبل أعضاء كبار في آل سعود. ويواجه عبد الله، رأس أكبر عائلة مالكة في العالم بتعداد ٢٢ ألف عضواً، تعنّت عشرات من أخوانه غير الاشقاء وآلاف من أبناء عمومته وأبناء إخوته، وخصوصاً الاخوة السديريين وأبنائهم.

وبالرغم من اختلاف الآراء حول الاصلاح السياسي، فإن آل سعود متوافقون على تطبيق سياسة الخوف. في الواقع، إن كتاب روبرت ليسي توقف عند حوادث حول زوار الفجر من المباحث، الذين يقتحمون بيوت الاكاديميين والصحافيين ويسوقونهم الى السجن. يضاف الى ذلك إجراءات أخرى من قبيل إخضاع خطوط الهاتف للمراقبة الدائمة، وتسجيل المكالمات، واللواقط الخفية كجزء من الديكور الداخلي للبيوت وغرف الفنادق وبعض الصالات.

استعمل آل سعود، حسب يماني، سلطتهم لفرض حدود على المناظرات السياسية. وتشمل أساليبهم التنظيم والضبط القانونيين، والاغراءات السياسية والمالية، وفرض قيود رسمية وغير رسمية على ما يمكن مناقشته بصورة علنية. بالنسبة للأكاديميين والصحافيين، فإنهم مدركون بشدّة طبيعة الخطوط المسموح بها ومتى يكون آمناً عبورها. وحيث أن معظم المفكّرين يتلقون مرتباهم مباشرة من الدولة، فإن كسب الرزق يعتمد على قدرتهم على المناورة بين الخطوط العريضة.

عبور خطوط الرقابة قد يفضي الى مكالمة هاتفية في منتصف الليل لإسداء نصيحة حول المحاجّة الخاطئة في التحليل. ولكن إذا لم تكن المكالمات الهاتفية مؤثرة، فحينئذ يتم استعمال وسائل أشدّ قسوة، مثل الفصل من الوظيفة، أو الجلد، أو الاعتقال ـ وهي إجراءات معروفة بأنها تقنيات الضبط الناعم لوزير الداخلية.

ولكن تبريرات روبرت، حسب يماني، لتجارب الإعتقال لأصحاب الرأي المختلف تجعل المرء يرغب في أن يدخل السجن في السعودية. فالسجون السعودية، وهي ليست مثل سجون الديكتاتوريات الأخرى، هي من الدرجة الأولى، ومريحة، وتقدّم طعاماً شهياً، وتلفزيون وتسلية وحتى الحمامات مصنوعة في كاليفورنيا ـ العطلة التعليمية السعودية الممتازة. ليس من بين أي الروايات أولئك الذين جرّبوا السجن السعودي ذكروا التعذيب، والحرمان من النوم، ما يجعل المرء يتساءل عن تقرير هيومان رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية أو حتى معرفتي بتجارب السجن للمثقفين السعوديين.

وفي ختام مناظرتها الساخنة، خلصت مي يماني بعبارة (كل شيء يجب أن يتغير وعليه لا شيء سيتغير) كان قد نقلها روبرت ليسي في كتابه، وهي للروائي برنس لامبديوسا، وعنى بها أن التغيير السياسي الجاد يمكن أن يتم في سياق المحافظة على السلطة الملكية. فأسعار النفط العالية حقّقت إستقرار المملكة، ولكن التصدّعات الحاصلة تحت السطح يمكن مشاهدتها. ومن أجل منع التصدّعات من أن تصبح انهيارات، فإن النظام السعودي يجب أن يخرج الإصلاح من حالة التجمّد العميق. فإن سنتين من عملية الإذابة قد تكون طويلة جداً.




وزيرالدفاع البريطاني مع خالد بن سلطان في الرياض



ويلتقي الملك أيضاً

عبدالملك الحوثي يوضح ملابسات دور السعودية في الحرب

صفقة (سلام) مجدداً.. دورة فساد أخرى!

ضاعف السعوديون والبريطانيون من سماكة حاجز السرية حول الصفقات العسكرية بعد تبعثر أسرار (اليمامة) المثيرة للإشمئزاز

محمد قستي

ما علاقة زيارة وزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند إلى روسيا في الثاني من نوفمبر بالملف النووي الايراني؟، وماعلاقة زيارة وزير الدفاع البريطاني بوب انسورث إلى الرياض في ٤ نوفمبر بزيارة زميله ميليباند الى موسكو؟

وهل هدف الزيارة كيما يقبض فيها الدفاع البريطاني ثمن التحرك الدبلوماسي، (سلام مثلاً) مقابل الدور البريطاني في اقناع روسيا للتخلي عن ايران.. المسعى البريطاني يأتي بعد مرور أكثر من عام على تحرّك سعودي قاده الأمين العام لمجلس الأمن الوطني بندر بن سلطان، الذي اختفى فجأة بعد هزيمة المحافظين في أمريكا، وفشل خطة الإطاحة بالملك عبد الله، إضافة إلى عوامل أخرى محلية ودولية.

لم يفشل التحرّك السعودي لإقناع روسيا بوقف تعاونها مع ايران، ونجحت موسكو في إقناع الرياض بجدوى العلاقة معها، بعد أن كشفت عن نوايا الامير بندر بن سلطان في مرحلة مبكّرة، فقرر الملك عبد الله تسهيل الصفقة العسكرية التي حملها الأمير بندر بن سلطان معه الى القيادة الروسية كثمن مقابل وقف التعاون مع طهران، فقد استلمت روسيا ثمن موقفها السلبي مع ايران بصفقة عسكرية بقيمة أربعة مليارات دولار.

وكانت صحيفة (فاينانشيال تايمز) البريطانية نقلت في عددها الصادر في ٣٠ سبتمبر الماضي عن مصادر دبلوماسية مطّلعة على سير المفاوضات بين الرياض وموسكو قولها (إن قيمة الصفقة السعودية المقترحة تصل إلى ملياري دولار، ويمكن أن تصل إلى سبعة مليارات دولار، وتشمل نظاماً يُعد الأكثر تطوراً من نوعه في أنظمة الدفاع الجوي الروسية وهو صواريخ (إس ٤٠٠)، التي تحاكي نظام الدفاع الصاروخي الأميركي (باتريوت). وعلقت الصحيفة حينذاك (إن روسيا تتعرض لضغوط شديدة من الولايات المتحدة ومن دول عدة في الشرق الأوسط بما فيها السعودية وإسرائيل كي لا تتم صفقة سابقة ببيع النسخة الأقدم من هذا النظام (إس ٣٠٠) لطهران، والتي كانت إيران قد أعلنت عنها أول مرة عام ٢٠٠٧).

وسعى الرئيس الأميركي باراك أوباما حين زارموسكو في تموز/يوليو الماضي إلى الحصول على تأكيدات من المسؤولين الروس بعدم إتمام الصفقة. وتوقعت صحيفة (فاينانشيال تايمز) أن تكون روسيا قد قدمت للولايات المتحدة تأكيدات غير رسمية بعدم المضي في عقد نظام (إس ٣٠٠). وقال رسلان بوخوف مدير مركز تحليل الاستراتيجيات والتقنية في موسكو للصحيفة البريطانية: (الصفقة السعودية مع روسيا حافز لقتل الصفقة الايرانية)، واصفاً الضغوط الأميركية على موسكو بالعصا، وشراء السعودية أسلحة ضخمة منها، هي الجزرة، كي لا تسلم نظام الدفاع الصاروخي إلى طهران). وأضاف بوخوف المتخصص في مجال صناعة الاسلحة (كلنا

يعلم أن السعوديين يشترون الأسلحة كرشوة للقوى الكبرى للحصول على دعمها، لكن في حال امتنعت روسيا عن بيع نظام الدفاع الصاروخي إلى ايران، فإن ذلك سيضر بسمعتها في أسواق السلاح العالمية».

وفي الأول من أكتوبر الماضي، نشرت وكالة الصحافة الفرنسية بأن السعودية تشتري نظام دفاعي جوي روسي لمواجهة ايران، ونقلت عن محللين ودبلوماسيين قولهم ان السعودية تسعى الى شراء نظام دفاع جوي روسي متطور بموازاة اقتراب الجار الايراني الشيعي من الحصول على تقنيات نووية يمكن أن تستخدم لغايات عسكرية. وقال المحللون والدبلوماسيون أن موسكو والرياض إقتربتا من ابرام الصفقة التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات وتشمل مجموعة من الأسلحة يمكن أن تشمل نظام "اس ٤٠٠" المتطور للدفاع الجوي. وذكر دبلوماسيون في المنطقة طالبين عدم الكشف عن هوياتهم أن ضغوطاً غربية وإسرائيلية قوية إضافة إلى عامل الربحية ربما، عوامل أقنعت موسكو بعدم بيع النظام لطهران.

وقال ثيودور كاراسيك مدير الابحاث في معهد الشرق الادنى والخليج للتحليلات العسكرية "السعوديون يفضّلون ألا يباع هذا النظام الى ايران أو سوريا" التي أشارت تقارير الى أنها أيضاً زبون محتمل لنظام الدفاع الجوي الروسي. ويمكن أن يكون نظام (اي ٤٠٠) جزء من صفقة أكبر بكثير تتيح للمملكة تنويع مصادر أسلحتها لدرجة كبيرة علماً أن سلاحها حالياً يتكون بشكل أساسي من أسلحة أميركية وبريطانية وفرنسية.

على أية حال، فإن الذاكرة الايرانية مازالت ناشطة فيما يرتبط بالإرث الاستعماري بطرفيه البريطاني والروسي، ما يجعل التحفّز الايراني حيال أي أدوار مريبة روسية كانت أم بريطانية عامل استباقي لأي تحوّلات دراماتيكية في الموقف الروسي.

بدا التنسيق السعودي البريطاني في الضغط على روسيا لوقف تعاونها النووي والعسكري مع إيران كما لو أنه مشروع استثماري ثنائي ومتعدد الأطراف. فبعد أن كسبت روسيا الصفقة السسعودية لقاء وقف تزويد إيران بصواريخ مضادة للطائرات، جاءت بريطانيا لتدخل على خط التوتر العالي في التجاذبات بين إيران والغرب، وتطمع هي الأخرى في أن تجني بعض الثمار من الحديقة السعودية..

وهذا ما حصل بالفعل في زيارة وزير الدفاع البريطاني الى الرياض في ٣ نوفمبر الجاري ولقائه بالملك عبد الله. لا شيء، بطبيعة الحال، يمكن الكشف عنه في الزيارة سوى الجمل المحنّطة (مناقشة الموضوعات التي تهّم البلدين) حسب وكالة الأنباء السعودية. وكلما ازدادت العبارات عمومية وغموضاً، بدا الأمر بالغ الحساسية والأهمية، وخصوصاً حين يكون طرفا اللقاء من نوع الملك عبد الله ووزير الدفاع البريطاني. وللمراقب أن يستدعي ما بين الشخصين من (الموضوعات التي تهم البلدين). أول ما يظهر من الموضوعات صفقة (سلام) بين الرياض ولندن التي بدأت ترتيباتها منذ العام ٢٠٠٧، وتتألف الصفقة من ٧٢ طائرة مقاتلة من طراز يوروفايتر تايفون بقيمة ٤،٤ مليار جنيه إسترليني (نحو ٨ مليار دولار) بحسب المرحلة الاولى من الصفقة. وكانت صحيفة (الجارديان) قد ذكرت في ٢١ يونيو ٢٠٠٨ بأن قيمة الصفقة قد تصل إلى ٢٠ مليار جنيه إسترليني (نحو ٣٣ مليار دولار) على مدى سنوات عدة.

ورغم الأنباء المتعاقبة عن دخول المرحلة الاولى من صفقة سلام حيز التنفيذ، إلا أنه ولأسباب عدة فنية وسياسية وأخرى متعلقة بترتيبات العمولات (في ظل ضغوطات تواجه شركة الصناعات الدفاعية البريطانية من قبل القضاء البريطاني في أعقاب فضيحة رشاوى اليمامة)، يتم تأجيل تاريخ البداية، حيث من المقرر أن تتم عملية شراء الطائرات على مرحلتين، وتتسلم السعودية في المرحلة الاولى ٣٦ طائرة، في حال عدم زيادة عدد الطائرات الى ١٠٠ طائرة.

وفيما تواجه شركة الصناعات العسكرية التابعة لوزارة الدفاع البريطانية ضغوطات من القضاء البريطاني وأخرى من الاوضاع الاقتصادية الداخلية، حيث لا مؤشرات عملية ولا رسمية عن قرب خروج بريطانيا من نفق الكساد، فإن المسؤولين البريطانيين يتحرّكون بوتيرة متسارعة من أجل تخصيب فرص الإسراع بتنفيذ الصفقة العسكرية (سلام)، خصوصاً وأن الأخيرة تمّت هذه المرة بعيداً عن الأمير سلطان، صاحب الشروط التعجيزية المتعلّقة بالعمولات.

السعودية لم تشأ المضي في تنفيذ المرحلة الاولى من أجل تحسين شروطها التفاوضية، وتخفيض الاسعار، وتأمين طرق آمنة للعمولات المقررة في الصفقة، في ظل وجود عروض بيع بأسعار تنافسية، الأمر الذي دفع بمسؤولي الحكومة البريطانية الى تكثيف نشاطهم السياسي دولياً. وجاءت المفاوضات الغربية مع ايران للضغط على الأخيرة في الملف النووي، لتقدّم فرصة ذهبية للبريطانيين للتحرّك على الجانب الروسي، لإقناعه بوقف التعاون النووي مع طهران، والقبول باتفاقية فيينا كما هي دون تغيير، ما يعني تجريد ايران من مادة اليورانيوم الضرورية لتشغيل أجهزة الطرد المركزي في مفاعلاتها النووية.

وفيما بدا أن الدبلوماسية البريطانية نجحت في إقناع روسيا بتصليب موقفها في المفاوضات الجارية مع طهران، لإجبارها على القبول باتفاقية فيينا، تحرّك وزير الدفاع البريطاني لتثمير نجاح مليباند في تسريع وتيرة صفقة (سلام) مع الرياض، بعد أن حقّقت لندن ما عجزت عنه الرياض في إقناع موسكو في لعب دور مؤثر في الملف النووي الايراني.

لقاء وزير الدفاع البريطاني بصحبة فريق من وزارة الدفاع وشركات الصناعات العسكرية مع الملك عبد الله ومساعد وزير الدفاع السعودي خالد بن سلطان، بصفته ممثّلاً عن والده الأمير سلطان الذي فوّض شؤون الدفاع لولده الأمير خالد، وبحضور السفير البريطاني في الرياض وليم باتي، بدا وكأن ظروف إتمام الصفقة باتت مؤاتية، وأنها دخلت عملياً حيز التنفيذ بحضور الفرق الفنية من وزارتي الدفاع السعودية والبريطانية.

وفي هذا السياق جرى اللقاء بين الأمير خالد بن سلطان مع وزير الدفاع البريطاني بوب انسورث، ولم يدل أي منهما تصريحات عن طبيعة (الأحاديث الودية ومناقشة عدد من المواضيع ذات الاهتمام المشترك). لقد ضاعف الجانبان من سماكة حاجز السرية المحيط بأي ترتيبات خاصة بصفقات عسكرية بعد أن فتحت (اليمامة) ثغرة واسعة في جدار الصمت، وتبعثر أسرارها المثيرة للإشمئزاز، الى حد أن القضاء البريطاني لم يعد قادراً على تجاوز ما أصابه من جروح في مصداقيته بفعل الضغوطات التي واجهها من حكومة توني بلير التي أوقفت التحقيق لأسباب متعلقة بـ (المصلحة القومية)، فيما كان ملف الفساد يبعث روائح نتنة في فضاء الديمقراطية البريطانية.

قد تتغيّر وجوه الفساد في صفقة (سلام)، في الجانب السعودي على الأقل، وستختفي أخرى مثل الأمير بندر بن سلطان، والأمير محمد بن فهد، والأمير عبد العزيز بن فهد، وقد تقتصر العمولات هذه المرة على أبناء الملك عبد الله والأمير سلطان، إضافة إلى بعض الوسطاء العرب والأجانب، وهم من غير حاشية وندماء الأمراء المستبعدين.

لم يشأ الجانب البريطاني أن يتجاهل المشكلات التي واجهتها الصناعات الدفاعية البريطانية في السنتين الماضيتين بعد افتضاح قضية الرشى، وهو ما تفهّمه المفاوضون السعوديون هذه المرة، ما جعل الطرفين يتفقان على إيجاد آليات ضبط صارمة حيال أية معلومات خاصة بالصفقة ومراحل تنفيذها.

الأسماء التي كشف عنها لقاء خالد بن سلطان ونظيره البريطاني أنسورث قد تقتصر على الجانب التقني من الصفقة فحسب. ومن بين الاسماء رئيس هيئة الاركان العامة الفريق الأول الركن صالح بن علي المحيا وقائد القوات الجوية الفريق الركن الأمير عبدالرحمن الفيصل والسفير البريطاني لدى المملكة وليام باتي، ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة اللواء الركن حسين حبتر ورئيس هيئة استخبارات القوات المسلحة اللواء الطيار الركن احمد عبيد القحطاني والملحق العسكري البريطاني لدى المملكة العميد جريمي موريسوث.

لقد بدا واضحاً أن التنسيق السعودي البريطاني في السنوات الثلاث الأخيرة بلغ مستويات عالية جداً، وخصوصاً فيما يرتبط بملفات إقليمية مثل العراق، وإيران، والقضية الفلسطينية، فكل اجتماعات التنسيق بين مسؤولين سعوديين (وفي الغالب أمراء يعملون في أجهزة أمنية)، وشخصيات عراقية أو إيرانية (من المعارضة) أو حتى مسؤولين إسرائيليين تنطلق من لندن. فهناك إتفاق بين البريطانيين والسعوديين على دعم توجّه سياسي محدد في العراق، وهما على توافق تام فيما يرتبط بتيار الاصلاحيين في إيران. سلسلة التوافقات السياسية بين الحكومتين تجعل، دون أدنى ريب، وجهة السخاء السعودي الى لندن ثابتة، فالتجربة العريقة من التعاون بينهما جعلتهما أقدر على التفاهم في كل الملفات الإقليمية تقريباً. وهناك مؤشرات كثيرة على أن بريطانيا والسعودية واسرائيل تشكّل جبهة دولية ناشطة لهندسة التوجّهات الأميركية بل الغربية عموماً.

أخطر حرب تواجهها..

السعودية وحرب صعدة

عبد الباري عطوان

يتواصل صدور بيانات التضامن مع الحكومة السعودية (وليس مع اليمن) في حربها ضد 'المعتدين' الحوثيين من قبل معظم الدول العربية، بما في ذلك السلطة الفلسطينية في رام الله، ولكن هذه البيانات لن يكون لها الا تأثير معنوي شكلي، لأن أزمة المملكة العربية السعودية اعمق بكثير مما يتصوره حلفاؤها العرب، بمن في ذلك وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي، الذين طار بعضهم الى الدوحة (٢٠٠٩/١١/١٠) لبحث هذه الأزمة وتداعياتها.

وربما لا نبالغ اذا قلنا ان الحرب الدائرة حالياً بين الحوثيين اليمنيين والقوات السعودية في جنوب المملكة اخطر كثيراً من ازمة اجتياح القوات العراقية للكويت صيف عام ١٩٩٠، ومن الحرب اليمنية السعودية التي اندلعت بعد ثورة عبد الله السلال عام ١٩٦٢ واطاحت بالحكم الإمامي في صنعاء، وفتحت الباب على مصراعيه لدخول القوات المصرية في مواجهة مع نظيرتها السعودية.

ما يميز هذه الحرب انها حرب طائفية اولاً، وسياسية ثانياً، واجتماعية ثالثاً، ومرشحة لأن تتحول بسرعة الى حرب اقليمية تدخل فيها اطراف عديدة تحت عناوين مختلفة، يظل البعد الطائفي ابرزها، فالتصريحات التي ادلى بها وزير الخارجية الايراني وقال فيها (ننصح بشدة دول المنطقة، والدول المجاورة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليمن، لأن من يختارون صب الزيت على لهب الصراع سيحترقون بنيرانه)، هذه التصريحات التي هي بمثابة تحذير شديد اللهجة للحكومة السعودية ليست الا مؤشرا على بدء مرحلة استقطاب طائفي واقليمي ربما تغير شكل المنطقة وخريطتها السياسية، وتهدد استقرارها.

* * *

عندما نقول ان هذه الحرب ربما تكون الاخطر على المملكة من الحروب والأزمات السابقة التي واجهتها منذ تأسيسها قبل ثمانين عاماً تقريباً، فذلك لأسباب عديدة نوجزها في النقاط التالية:

أولا: حرصت القيادة السعودية طوال العقود الماضية على تطبيق استراتيجية ثابتة، ملخصها اضعاف جميع القوى الاقليمية المحيطة، وخوض حروب ضدها خارج أراضي المملكة بقدر الامكان، وهذا ما حصل عندما حاربت الثورة الناصرية على أرض اليمن، والثورة الخمينية على أرض العراق، من خلال التحالف مع النظام العراقي السابق وتحريضه على خوض حرب استغرقت ثماني سنوات، انتهت بإضعاف البلدين معاً، واخيراً استخدام خطأ اجتياح الكويت لتدمير القوة الاقليمية العراقية المتنامية.

الحرب الحوثية الحالية تدور حالياً على جزء من أرض المملكة، يعتبر الاكثر وعورة، وفي مناطق تعاني من الاهمال وضعف التنمية، وتضم نسبة كبيرة من السكان اتباع المذهب الاسماعيلي الشيعي غير المعترف به من قبل المؤسسة الدينية الوهابية المتحالفة مع النظام السعودي.

ثانياً: يوجد داخل المملكة اكثر من مليون يمني، بعضهم يحملون الجنسية السعودية، والبعض الآخر ما زال محتفظاً بجنسيته اليمنية، وبعض

> **حرصت القيادة السعودية على تطبيق استراتيجية ثابتة تستهدف إضعاف جميع القوى الاقليمية المحيطة، وخوض حروب ضدها خارج أراضي المملكة**

هؤلاء يؤيد الحوثيين، ويمكن ان يشكل على المدى المتوسط، تهديداً للأمن الداخلي.

ثالثاً: الحدود السعودية اليمنية تمتد لأكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، اما الحدود اليمنية على البحر الاحمر الممتدة من عدن الى صعدة فتصل الى حوالى ٤٠٠ كيلومتر. ومعظم هذه الحدود غير مسيطر عليها بسبب ضعف امكانيات الحكومة اليمنية، مما يجعل عمليات التهريب للاسلحة والبشر ميسّرة للغاية، خاصة عبر سواحل البحر الاحمر. وعلينا ان نتذكر ان اريتريا التي يقال انها باتت قاعدة لتهريب اسلحة الى الحوثيين، استطاعت احتلال جزر حنيش اليمنية قبل عشر سنوات بقاربين مسلحين فقط، بسبب ضعف سلاح البحرية اليمني.



عبد الباري عطوان

رابعاً: تثبيت استقرار المملكة من خلال الحفاظ على أمنها الداخلي، هو ابرز انجازات الاسرة الحاكمة، واهتزاز هذا الامن، جزئياً على الأقل، من خلال حرب استنزاف طويلة في الجنوب، ربما يؤدي الى اضعاف النظام، خاصة اذا استغل تنظيم (القاعدة) الذي بدأ يكثف وجوده في اليمن، الفوضى الحدودية لإحياء ومن ثم تعزيز وجوده، داخل المملكة، واستئناف هجماته ضد اهداف حيوية، مثلما كان عليه الحال قبل خمس سنوات.

خامساً: من المفارقة ان السلطات السعودية ومن خلال (اللجنة الخاصة) التي انشأتها للتعاطي مع الملف اليمني منذ (ثورة السلال)، برئاسة الامير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد، استخدمت سلاح المال لشراء ولاء شيوخ قبائل المناطق الحدودية الذين انقلب معظمهم عليها الان، واضعاف الحكومة المركزية في صنعاء حليفتها الحالية، وارتكبت خطأً استراتيجيا اكبر عندما دعمت حرب الانفصال عام ١٩٩٤ بقوة، فوضعت اللبنة الاولى لتحويل اليمن الى دولة فاشلة، تواجه حراكا انفصاليا في الجنوب، وحربا حوثية في الشمال، وأنشطة داخلية متصاعدة لتنظيم (القاعدة).

* * *

عندما شكلت الثورة الخمينية تهديدا وجوديا للمملكة ودول الخليج الاخرى، وجدت القيادة السعودية في الرئيس العراقي صدام حسين ونظامه سندا قويا للتصدي لها، ومنع وصولها الى الساحل الغربي للخليج العربي، وعندما اجتاحت القوات العراقية الكويت، استغاثت بالولايات المتحدة وقواتها لاخراجه منها، وانهاء الخطر الصدامي نهائيا بغزو العراق واحتلاله لاحقاً، والى جانب

ذلك كان مجلس التعاون الخليجي موحدا خلفها في الحربين ضد العراق وضد ايران.

الصورة الان تبدو مختلفة كثيرا، فصدام حسين ليس موجودا، والقوات الامريكية مشغولة في حربين دمويتين خاسرتين في افغانستان والعراق، اما مجلس التعاون الخليجي فلم يعد موحدا بالقدر الكافي خلف المملكة في حربها هذه.

السلطان قابوس بن سعيد سلطان عُمان حرص على زيـارة طهران قبل شهرين لتأكيد تضامنه

القوات الامريكية مشغولة عن السعودية في حربين دمويتين خاسرتين، ومجلس التعاون الخليجي لم يعد موحداً بالقدر الكافي خلف المملكة في حربها الحالية

مع رئيسها احمدي نجاد والمرشد الاعلى للثورة السيد علي خامنئي، بعد اخماد ثورة الاصلاحيين مباشرة. والعلاقات السعودية - الاماراتية متوترة منذ الخلاف بين البلدين على شريط العديد البحري، وكيفية تقسيم انتاج حقل الشيبة النفطي. وزاد هذا التوتر اخيرا على ارضية رفض السعودية طلبا اماراتيا باستضافة مقر البنك المركزي الخليجي الموحد في ابوظبي، وانعكس في اغلاق الحدود لعدة اسابيع، ومنع الاماراتيين من دخول المملكة بالبطاقة الشخصية. ولوحظ ان الشيخ عبدالله بن زايد وزير خارجية الامارات لم يكن بين زملائه الخليجيين الذين شاركوا في اجتماع الدوحة التضامني. اما العلاقة ما بين المملكة وقطر فتبدو غامضة، رغم ما هو ظاهر على السطح حاليا من زيارات ومجاملات. فالسلطات القطرية تضع رجلا في طهران واخرى في الرياض. اما الكويت فمشغولة بأزمتها الداخلية، والفتنة الطائفية التي حذر منها أميرها ما زالت تحت الرماد، والشيء نفسه يقال عن البحرين ايضاً.

نخلص الى القول من كل ما تقدم ان المملكة العربية السعودية وقعت في مصيدة طائفية وعسكرية على درجة كبيرة من الخطورة، او اثارت على نفسها (عش دبابير) طائفيا قد يصعب الفكاك من لسعاته القاتلة، رغم التفوق الكبير في ميزان القوى لصالحها. وعلينا ان نتذكر ان القوة العسكرية الامريكية الجبارة اطاحت نظامي صدام وطالبان، ولكنها تترنح في حرب الميليشيات التي انفجرت بعد ذلك.

اذا صحت التقارير التي تقول ان ايران تدعم التمرد الحوثي بالمال والسلاح، فان هذا يعني اننا امام مثلث جديد ربما يشكل عناوين المرحلة المقبلة، اضلاع هذا المثلث حركة حماس في امارة قطاع غزة، وحزب الله في امارة جنوب لبنان، والحوثيون في امارة صعدة، القاسم المشترك لهذا المثلث هو الصواريخ الإيرانية والعداء لامريكا واسرائيل ودول الاعتدال العربية.

رغم تفوقها العسكرية، وقعت السعودية في مصيدة طائفية وعسكرية خطرة جداً، وأثارت على نفسها (عش دبابير) طائفياً يصعب الفكاك من لسعاته القاتلة

قتل المشروع النهضوي العربي لصالح الهيمنة الامريكية، ومهادنة اسرائيل من خلال تبني خيار السلام كخيار وحيد، وتدمير العراق، واضعاف اليمن وحرمانه من الاستثمارات مثل دول عربية فقيرة عديدة، كلها عوامل ادت الى خلق هذه التطورات المزعجة التي قد تحوّل المنطقة العربية كلها الى دول فاشلة.

عن القدس العربي، ٢٠٠٩/١١/١١

الحرب السعودية الحوثية

عبدالحكيم الفقيه

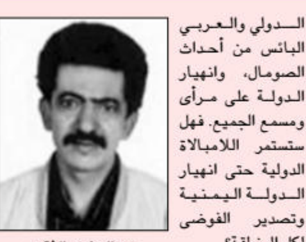
ربما يكون الرئيس علي عبدالله صالح ذكياً في استدراج السعودية إلى مستنقع صعدة كي تتحمل عنه عبء القضاء على الحركة الحوثية المتمردة، والتي لقنت جيشه دروساً متكررة في كل المساقات، وارتسمت الحيرة في أذهان المراقبين حول سهولة سقوط السعودية في الفخ المرسوم لها، وهي دولة ذات وزن إقليمي، لا يشرّف جيشها خوض معركة مع أقليّة متمردة في بلد مجاور، وكان الأحرى بها أن تكون وسيطاً لحل النزاع، لا طرفاً فيه. وهنا يكمن مأزق السياسة الخارجية السعودية.

لقد اقترفت السعودية - ربما بحسن النية - خطأً فادحاً حين سلّمت جبل الدخان للجيش اليمني الذي لم يحافظ عليه فسقط الجبل في يد الحوثيين، الأمـر الـذي وضعهم وجهـاً لوجه أمـام الجيش السعودي. ومن الغريب في الأمر أن السعودية سبق وان تسلمت جبل الدخان من الحوثيين بعد حوار بينهما، فكيف لدغ السعوديون مرتين من جحر واحد؟

الأمـر يفهم على أنـه كلاسيكية في العمل السياسي السعودي، ومأزق في دبلوماسياتها التي لا تعرف المرونة، ولا تجيد العزف على أوتار فن الممكن.

إن إشارة الرئيس الصالح إلى أن الحرب كانت بروفة، وأنها لم تبدأ إلا قبل يومين، إشارة إلى دخول السعودية المصيدة التي ستريح الجيش اليمني من عناء اللوم والسخرية الشعبية، وخصوصاً إذا تمكّن الحوثيون من صدّ العدوان السعودي، وإحـراج جيش المملكة. ومن المفارقات أن يطالب الحوثي بالمحافظة على السيادة اليمنية، في ظل إشادة الحكومة اليمنية بضربات السعودية حتى ولو في الأراضي اليمنية!

لا جدال بأن حرب صعدة دخلت بعداً إقليمياً بعد دخول السعودية الحرب، وتصريحات وزير الخارجية الإيراني حول التحذيرات من التدخل في الشأن اليمني. والمخيف أن العالم فقد التضامن وروح المبادرة، وخصوصا ونحن نرى الموقف الـدولي والـعـربـي البائس من أحداث الصومال، وانهيار الـدولـة على مـرأى ومسمع الجميع. فهل ستستمر اللامبالاة الدولية حتى انهيار الـدولـة الـيـمـنـيـة وتصدير الفوضى لكل المنطقة؟



عبدالحكيم الفقيه

إن دخـول السعودية الحرب قد أسال لعاب أطراف عديدة وخصوصاً أن مصدّري السلاح وجدوا سوقاً استهلاكية جديدة، وحرباً تورّطت فيها دولة غنية، تزعم أن لها دوراً إقليمياً ودولياً في رسم السياسات. ولعل قبائل الفيد التي نهبت أسلاك الكهرباء وبلاط الحمامات من عدن، في ارتقاب سقوط مدينة سعودية لتفيد منها. يبدو أن غلطة الشاطر بعشر، وفي الغالب فإن الثعابين تموت بسموم العقارب، ويضع الله سره في أضعف مخلوقاته.

علينا نحن الرافضون لهذه الحرب العبثية منذ البدء أن نترقب مرحلة الجنون القادمة في ظل غياب العقلاء.

مَنْ ورّط مَنْ في الحرب

صعدة: حرب إقليمية بخناجر يمنية

أمين قمورية

عملية (الارض المحروقة) التي يشنها الجيش اليمني على المتمردين الحوثيين في محافظتي صعدة وعمران دخلت شهرها الرابع بتطور اساسي هو اقحام القوات السعودية في المعادلة. المملكة تستخدم سلاح الجو والمدفعية في سبيل خلق منطقة عازلة بعمق عشرة كيلومترات - على الطريقة اللبنانية - لإبعاد الحوثيين عن حدودها، واليمن يبدو، اكثر من اي يوم، دولة عاجزة عن ان تكون دولة. تحولت الحرب السادسة حرباً إقليمية بامتياز بعد تورط السعودية فيها، وبعد توجيه أصابع الاتهام الى ايران بدعم المتمردين، الامر الذي يطرح علامات استفهام بشأن مدى نجاح عملية (الارض المحروقة) التي أطلقها الرئيس اليمني في ٢٠٠٩/٨/١١ ضد الحوثيين.

الظاهر حتى الآن ان الجيش اليمني غير قادر وحده على حسم المعركة ضد الحوثيين، ولم يكن يدخل في حساباته ان المتمردين قادرون على صد حملة قوية على معاقلهم. أكثر من ذلك، لم يكن يدور في خلد الحكومة اليمنية ان في استطاعة الحوثيين كسر الطوق وفتح جبهات جديدة لا سيما في محافظة عمران التي تبعد اقل من ١٥٠ كيلومتراً عن صنعاء.

لم يقتصر دور الحوثيين على الدفاع عن انفسهم او معاقلهم، بل نقلوا المعركة الى داخل الاراضي السعودية بحجة التسهيلات التي تقدمها الرياض للجيش اليمني في حملته العسكرية، وهذا ما أحدث ارباكاً لدى صنعاء التي لا يمكنها تبني التدخل العسكري السعودي علناً، سيما بعد عمليات القصف الجوي التي نفذها سلاح الجو السعودي لمواقع الحوثيين داخل الاراضي اليمنية. وربما كان هذا الدافع الى اصرار الحكومة اليمنية على عدم حصول تدخل خارجي داخل اراضي اليمن.

أما الرياض فلم يعد في وسعها التعتيم على دورها في الحرب، فأعلنت انها دخلت المعركة لتطهير (جبل دخان) والمواقع السعودية الاخرى التي تسلل اليها اليمنيون. لكن التدخل العسكري السعودي في اليمن ومهما اتخذ من أشكال، فإنه يوقظ ذكريات تاريخية عن الدعم السعودي الذي تمتع به الاماميون في اليمن في وجه الثورة التي أطاحت بحكم الامام بدر الدين في العام ١٩٦٢ بدعم من مصر عبد الناصر. اليوم انقلبت الادوار، فالسعودية تدعم الحكم الجمهوري ضد الاماميين الذي ينتمي اليهم الحوثيون. لكن الدور هو الدور والتاريخ يعيد نفسه بصورة مختلفة، ولا يمكن اثارة التكهنات في شأن ما يمكن ان ينتهي اليه التورط السعودي في نزاع اقليمي هي جزء منه.

ولا يخفف إلقاء المسؤولية على ايران في دعم الحوثيين من مسؤولية النظام اليمني نفسه عن وصول الخلاف مع الحوثيين الى حد النزاع العسكري. فاتهام الحوثيين بأنهم يريدون اعادة حكم الامامة الى البلاد ليس سبباً كافياً لنشوء الصراع المسلح. تماماً كما انه ليس منطقياً الدخول في نزاع مسلح مع الجنوبيين لأنهم يطالبون بإنصافهم في الحكم. التذرع بالخارج لا يعفي النظام اليمني من مسؤولية الإخفاق في التعامل مع خصومه.

يقدم علي عبد الله صالح نفسه الآن على انه يخوض حرباً ضد عودة الحكم الامامي، فضلاً عن الحرب التي يخوضها ضد تنظيم (القاعدة)، مضافاً اليها الحرب ضد انفصال الجنوب. وفي هذه الحروب الثلاثة يغرق اليمن اكثر في الفوضى لمصلحة بروز العصبيات القبلية. ففي صعدة وعمران ليس خافياً التحالف الذي يقيمه النظام الآن مع السلفيين من اجل المحاربة في صفوف الجيش ضد الحوثيين. والحوثيون يستغلون هذه النقطة من أجل اتهام النظام بزج (القاعدة) في حربه ضدهم على خلفية النزاع المذهبي. وفي معركته ضد الحراك الجنوبي، لا يبدو علي صالح مقنعاً وهو يتعامل مع المطالبين بالانفصال مجدداً من خلال الاعتقالات والقمع من دون ان يقدم على خطوة يستوعب فيها مطالب الجنوبيين.

الحصيلة الثقيلة للحرب في صعدة، ربما هي التي دفعت علي صالح الى القول بعد دخول السعودية على خط المعارك ان (الحرب لم تبدأ سوى منذ يومين، ان ما سبق منذ ستة اعوام انها هو بروفة وتمرين وتدريب لتأهيل وحداتنا). إذاً الى ماذا يرمي الرئيس اليمني بعد أقلمة النزاع مع الحوثيين؟ وهل يراهن على دور سعودي عسكري أكبر للتغلب على التمرد في صعدة وعمران؟

لا شك في أن دوراً عسكرياً اكبر للسعودية ستكون له حساباته المختلفة، كما انه في حال حصول توغل عسكري سعودي داخل الاراضي اليمنية، فإن المعادلات القائمة حالياً مرشحة لمزيد من التخلخل وبروز معادلات جديدة في منطقة مليئة بالتجاذبات. ومن البديهي ان توسع الحرب سيحتم على السعودية الاحتفاظ بقوات عسكرية بشكل دائم داخل اليمن. وقد بدأ الحديث فعلاً عن مطالب سعودية تقول بابتعاد المتمردين اليمنيين عشرات الكيلومترات عن الحدود السعودية. ومثل هذا التطور سيرتب على السعودية اعباء سياسية وعسكرية وستكون له حسابات جيوسياسية ايضاً وسيترك تأثيره ايضاً على الحكم المركزي في اليمن.

لن يكون في امكان الحكم المركزي رغم كل الدعم المتوافر له عربياً ودولياً التماسك في حال عمد الجنوبيون الى استخدام القوة لتحقيق هدفهم الانفصال. مثل هذا التطور سيُدخل اليمن في نفق مظلم ويحول البلاد الى دولة فاشلة بحيث يتقلص نفوذ الحكم المركزي الى حدود العاصمة او اقل. من هنا يبرز اكثر من تساؤل عن الدافع الذي حمل علي صالح على فتح الحرب السادسة ضد الحوثيين. هل هو خطأ في الحسابات، ام انه كان يراهن على تطورات تصب في مصلحة حسم التمرد بسرعة، او فخاً لجر السعودية الى حرب اقليمية؟ كل ما يجري على الجبهة اليمنية الآن يوحي بحرب استنزاف طويلة من دون ان تكون لأي من الطرفين القدرة على حسمها في وقت قريب.

عن: الكفاح العربي، ٢٠٠٩/١١/١٣

وجوه حجازية

(١)
عبدالحميد فردوس
(١٢٧٥هـ - ١٣٥٢هـ)

هو عبدالحميد بن محمد بن عبدالغني فردوس الحنفي المكي. ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم واشتغل بطلب العلم على مشايخها العظام. لازم الشيخ أحمد أبو الخير مرداد، وتخرج عليه في الفقه، وقرأ عليه مجموعة كتب في الفقه الحنفي والفرائض والحساب والنحو. وقرأ على السيد أحمد دحلان النحو والمنطق والمعاني والبيان والحديث والتفسير وأصول الحديث وأصول الفقه وغيرذلك. وقرأ على السيد سالم العطاس وعلى الشيخ محمد البسيوني في النحو والصرف والمنطق. وقرأ على السيد محمد كتبي في الفقه الحنفي، وعلى الشيخ أحمد أمين بيت المال في الفقه والعروض والنحو.

وقد أجازه أساتذته وأذنوا له بالتدريس، فتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، فدرّس وأفتى، وقام برحلة الى الشام والقدس والأستانة، واجتمع بكثير من العلماء، منهم السيد محمد طاهر الحسيني مفتي القدس، والشيخ أبو الهدى الرفاعي. كما قام برحلة الى اليمن، واجتمع بالسيد داود بن حجر المعمر، ثم قام برحلة الى الهند وجاوا واجتمع بأفاضل علمائها، واستفاد من تلك الرحلات وقويت معلوماته. وأخذ المسلسل عن السيد داود بن حجر الزبيدي والشيخ عابد سندي.

عمل غير مرة مصححاً بالمطبعة الأميرية بمكة المكرمة. توفي رحمه الله بمكة المكرمة[١].

(٢)
محمد كتبي
(١٢٠٢ هـ - ١٢٨١هـ)

محمد حسين كتبي الحنفي. نزيل مكة المكرمة ومفتيها. قدم مكة المكرمة في سنة ١٢٥٥هـ، وجاور بها. طلب العلم ببلده فأخذه عن السيد أحمد الطحطاوي وبه تخرج، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد الأمير الكبير، وأجازه مشايخه. تصدّى للتدريس بالمسجد الحرام، وتولّى الإفتاء بمكة المكرمة. وكان عالماً محققاً ورعاً صالحاً زاهداً مدققاً. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: فتاوي جردها وجمعها ابنه محمد؛ حاشية على كتاب الوقف من البحر؛ حاشية على شرح العيني على الكنز (لم يكملها)، شرح على نظم الكنز[٢].

(٣)
عبدالغني النابلسي
(١٢٦٢هـ - ١٣١٧هـ)

عبدالغني بن ياسين اللبدي النابلسي، فقيه، توفي بمكة المكرمة.

له: حاشية على شرح دليل الطالب؛ قال الشطي عنه في مختصر طبقات الحنابلة: كتب إلينا الأستاذ الشيخ يوسف القدومي من فضلاء نابلس فقال: هو عالم جليل، وفاضل نبيل، طلب العلم في مصر، وكان جل انتفاعه على العلامة الشيخ يوسف البرقاوي شيخ رواق الحنابلة بالجامع الأزهر. ثم حج وجاور بمكة المكرمة سنين عديدة، وصار مدرّساً بحرمها الشريف، وألف حاشية على شرح الدليل تدل على فضله وسعة اطلاعه. كان تقياً نقياً مهيباً حسن الهيئة، ولم يزل مجاوراً مقبلاً على شأنه حتى توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة ١٣١٧هـ[٣].

(١) عبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٢٣٦. وعمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ١٥٤. وعبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ١٩٣.
(٢) عبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٤٧٥، وعمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٤٠ حاشية، وفيه وفاته سنة ١٢٨٠هـ.
(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ٥، ص ٢٧٧. وجميل الشطي، مختصر طبقات الحنابلة، ص ١٧٨.

حين يعتقد الكاذب الأحمق أنه منتصر!

كذبة: الحوثيون شرذمة، فئة ضالة، إرهابية.

تصحيح: الحوثيون مجتمع مقاوم، اعتدي عليه من قبل الإرهابي شاويش صنعاء، ورعاة الإرهاب ومفرخوه، ومروجو الكذب والنافخون في الفتن والضلال في معقلهم، معقل سجاح، ومسيلمة الكذاب.

كذبة: السعودية قويّة بجيشها وستسحق قريباً فلول الحوثيين.

تصحيح: جيش السعودية يعرف الكبسة، والخرفان المحشوّة بالدجاج، وهو خسر المعركة بمجرد أن بدأ بها.

كذبة: الحوثيون شيعة إثنا عشرية، يجوز قتلهم، وهم منشقون عن الزيدية.

تصحيح: الحوثيون شيعة زيدية، وهم من رؤوس المذهب الزيدي، ومن مجدّديه. وقتل الآخر لمجرد أن مذهبه مختلف، لا تقول به إلا الوهابية الشقيّة، التي كفّرت كل المسلمين.

كذبة: للتسخيف والتسقيط: الحوثيون يستخدمون القرود والأغنام في معاركهم ضد السعودية.

تصحيح: ترى كم قرداً عميلاً للسعودية، صدّق الأمر؟

كذبة: القاعدة تتحالف مع الحوثيين.

تصحيح: القاعدة، مالها ورجالها وفكرها سعودي وهابي أصلي. بلد مسيلمة هو الذي أنتجهم، وهو الذي يستخدمهم ويحرّضهم على قتل المخالف في المذهب.

كذبة: أجانب يقاتلون الى جانب الحوثيين ضد السعودية.

تصحيح: صعدة لم تخل من الرجال، وهي واقفة كالنخيل شامخة أمام علي عبدالله صالح في حروبه الست. أما أشباه الرجال فهم من جاء بالأميركيين لحمايتهم، وهم الذين جاؤوا بالفرنسيين والأردنيين لذبح جهيمان في الحرم. وهم الذين كانت على اراضيهم ولوقت طويل قوات باكستانية (ثلاثون ألفاً). واليوم، فإن الأخبار تقول بأن ملك الأردن (ابن الإنجليزية) ارسل ١٥٠٠ عنصر كوماندوز لحرب المستضعفين في صعدة.

كذبة: السعودية دخلت الحرب (دفاعاً عن أمنها القومي) وقال عالم بلاط بل (دفاعاً عن المقدسات)!

تصحيح: لهذا كان الأمن القومي مخترقاً أمام اسرائيل فسلمت لها جزر سعودية (تيران وصنافير) المحتلة منذ ١٩٦٧م! ولهذا لا تهش السعودية ذبابة أمام اختراق طيران وبوارج اسرائيل الأجواء والمياه الإقليمية في تبوك وما حولها! ولذا صارت المقدسات الاسلامية في الحجاز غير آمنة بعد أن خرج من يحميها من الأميركيين في قواعد الرياض.

كذبة: طبّال سعودي كتب: (حين يضطر الحليم للغضب والقتال)!

تصحيح: غضب السعوديون بعد فقدان عنصر واحد من حرس حدودهم فجردوا آخر ما اشتروه من سلاح أميركي على الأبرياء. ولم يغضبوا لما جرى في لبنان ولا العراق ولا أفغانستان، ولا لما جرى في غزّة. لم يغضبوا يوماً على أميركا واسرائيل! السعودية لم تكن في يوم ما حليمة، بل كانت دائماً تحول غضبها الى فتن وحروب.

كذبة: السعودية تحترم السيادة اليمنية!

تصحيح: والدليل أن الطائرات تقصف العمق اليمني، وتقتل مدنييه، والسفن الحربية السعودية تحاصر موانئه بدون استئذان، ولازال اعلام علي عبدالله صالح ينفي أن السعودية تتدخل في اليمن! ترى من جاء به رئيساً؟!

كذبة: الحوثيون تحرّضهم ايران على السعودية لإشغالها عن مهامها القومية!

تصحيح: علي صالح حرّض السعودية على الحرب، فاستجابت لذلك بغباء، فقام الجيش السعودي بمهمة قومية بمهاجمة اليمنيين!

كذبة: السعودية حريصة على اليمن وعلى وحدته وعلى حكومته المنتخبة الشرعية.

تصحيح: السعودية الآن مع الوحدة، وكانت ضدها قبل قيامها، وكانت ضدها عام ١٩٩٤ كما هو معروف. السعودية يهمها مصالحها ونفوذها السياسي والأيديولوجي الوهابي. لا تنس أن السعودية تحب الإنتخابات والديمقراطية، وتموت هياماً في (ودفاعاً عن) الأنظمة الشرعية!

كذبة: الأمير الجنرال! خالد بن سلطان: الحوثيون خونة لوطنهم ولجيرانهم.

تصحيح: رمتني بدائها ولكنها لم تستطع أن تنسلّ. آل سعود هم من رضع الخيانة صاغراً عن صاغر، والعميان الوهابية لم يكتشفوا الأمر حتى الآن، او اكتشفوه ولكنهم صمٌ بكمٌ فهم لا يعقلون.



- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات







إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعةَ الحروب تثأر لنفسها في حكومةَ السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى ابتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).





(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثيةَ؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد.


من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة) وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّةَ!

لم يتبق إلا القليل من مكةَ.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها؛ جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



أزياء حجازية